الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص حضارات قديمة الموسومة بـ

حركة الدوارين في شمال إفريقيا القديم وأثرها على أحداث القرن الرابع ميلادي

إعداد الطلبة:

–بعطوش عبد القادر

–بن الضيف بلقاسم

إشراف الأستاذ:

د. بختي لورتان

-أعضاء لجنة المناقشة:

د. بوخراس حمادوش	رئيسا
د. لورتان بختي	مشرفا ومقررا
د. محوز رشيد	مناقشا

السنة الجامعية: 2024-2025م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

هذا العمل مهدى إلى شهداء غزة

مقدمة

مـــقـــدمـــة

لقد شهد المغرب القديم خلال الحقبة الرومانية تحولات كبيرة على الصعيد السياسي والإجتماعي والديني كان أبرزها خلال القرن الثاني ميلادي الذي تُوّج بدخول المسيحية إلى المغرب وتأسيس كنيسة قرطاج حيث أقبل سكان المغرب القديم على اعتناق المسيحية والدخول فيها بقوة، ومع منتصف القرن الثالث ميلادي كانت قد تجذرت المسيحية في المغرب القديم وتغلغلت في القرى والأرياف واعتنقها مختلف أطياف المجتمع الإفريقي بما فيهم سكان الأرياف والبوادي، وقد تزامن هذا الإنتشار الكبير للمسيحية في أواسط سكان المغرب القديم مع بروز عبادة الإمبراطور كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية، فما كان من السلطة الرومانية إلّا رفض انتشار المسيحية ومحاربتها بجملة من الإجراءات القمعية، فقد اضطهد الأباطرة الرومان المسيحيين في بلاد المغرب، وقد كان لسنوات الإضطهاد الديني أثرها البالغ على نفوس المسيحيين في بلاد المغرب، فتنام الحقد ضدّ السلطة الرومانية وأعوانها والمسيحيين المتواطئين معها، فرغم اندحار عبادة الإمبراطور باعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية واعتمادها ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية استمر الصراع وأخذ أبعادا دينية واجتماعية بعد أن كان ذا بعد ديني، فمع منتصف القرن الرابع ميلادي تطور الصراع ونتج عنه ظهور حركات ثورية مناهضة للسلطة الرومانية وسياساتها فبرزت الحركة الدوناتية كحركة دينية مسيحية مناهضة للتيار الكثاوليكي المتعاون مع السلطة ومَنْ تزعمه مِنَّ القساوسة المتواطئين سنوات الإضطهاد الديني، وبرزت حركة الدوارين كحركة إجتماعية رافضة للأوضاع السائدة والظروف المزرية التي يعيشها سكان المغرب القديم بسبب السياسات الرومانية المجحفة ومناهضةً للطبقية.

برزت حركة الدوارين منذ بداية القرن الرابع ميلادي والتي عرفت بحركة الثوار الريفيين كردّ فعلٍ ضدّ ممارسات السلطة الرومانية وسياساتها التي تسببت في تردي الأوضاع الإجتماعية وتكريس

الطبقية، وأكسبهم تحالفهم مع الدوناتية بعدا دينيا، ورغم دعاية السلطة الرسمية وأتباعها الكاثوليك التي اعتبرت الدوارين مجرد عصابات من اللصوص وقطاع الطرق، إلّا أنّ بروز حركة الدواربن كان له الأثر البالغ على إشتداد الصراع بين السلطة الرومانية وسكان المغرب القديم وتغير الأوضاع السياسية للمغرب القديم خلال القرن الرابع ميلادي سواءً من خلال أحداث بغاي سنة 347م بعد إلتحام الدوارين بالدوناتية أو في نهاية القرن الرابع ميلادي بعد إنضمام الدوارين لثورتي الأخوين فيرموس وجيلدون.

وقد دفعنا لاختيار هذا الموضوع الأهمية البالغة التي يكتسيها موضوع حركة الدوارين والفترة الزمنية المفصلية(نهاية القرن الرابع ميلادي) في تاريخ بلاد المغرب وتاريخ الإمبراطورية الرومانية والتي مهدت لنهاية الوجود الروماني في بلاد المغرب، وحاجتنا للتعرف على هذا الموضوع بدقة وقرب وبكلّ موضوعية، حيث أردنا معرفة تاريخ هذه الحركة والظروف التي أدّت إلى بروزها وماهيتها والإطلاع على المحطات التي مرّت بها وكذلك معرفة مدى تأثير هذه الحركة على الأوضاع السياسية لبلاد المغرب القديم خلال نهاية القرن الرابع ميلادي ، ولهذا أردنا تسليط الضوء على موضوع حركة الدوارين والتغلغل في ثنايا أحداثها.

ولبلوغ الأهداف المراد تحقيقها من خلال هذه الدراسة توجب علينا وضع عدّة تساؤلات وإشكاليات والتي سنحاول الإجابة عليها في المتن، ونذكر السؤال الرئيسي والمتمثل في: ما هي حقيقة حركة الدوارين، هل كانوا مجرد لصوص و قطاع طرق أم أنّهم كانوا ثوارا في وجه الغطرسة الرومانية والطبقية؟، وما هي علاقتهم بأحداث نهاية القرن الرابع ميلادي؟

أما الأسئلة الفرعية تتمثل في:

- كيف كانت الأوضاع العامة لبلاد المغرب قبيل ظهور حركة الدوارين؟
- من هم الدوارون وماهي ماهيتهم ؟

كيف نظرت السلطة الرومانية والكنيسة الرسمية الكاثوليكية إلى الدوارين وما موقفهم من الحركة؟

- ما هي الفئات المساندة والمناوئة لحركة الدوارين؟
- ما هي العوامل التي أدّت إلى ظهور حركة الدوارين؟
- ما هي طبيعة علاقة حركة الدوارين بالدوناتية؟ وما هو أثرها على الحركتين وعلى الوضع في بلاد المغرب ونوميديا؟
- ما هي علاقة حركة الدوارين بثورتي فيرموس وجيلدون وكيف أثرت الحركة في الوضع السياسي لبلاد المغرب نهاية القرن الرابع ميلادي؟

وقد إنجاز هذه الدراسة والإجابة على التساؤلات المطروحة حول موضوعنا قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة، فبدأنا دراستنا **بالفصل التمهيدي** الذي تناولنا فيه الأوضاع العامة لبلاد المغرب القديم قُبيل ظهور حركة الدوارين مركزين على الأوضاع الإجتماعية والدينية، أمّا **الفصل الأوّل** خصصناه للتعريف بالدوارين وماهية حركتهم، أمّا **الفصل الثاني** فقد تناول فيه نشأة حركة الدوارين وتطورها، وفي **الفصل الثالث** سلطنا الثوء على علاقة حركة الدوارين بالدوناتية مركزين على الإنشقاق الدوناتي وإلتحام الدوارين والدوناتية بعد أحداث باغاي 347م، أمّا **الفصل الرابع** والأخير فقد خصصناه لأهم ثورات نهاية القرن الرابع ميلاد وهما ثورتي فيرموس وجيلدون وعلاقتهما بالدوارين.

أمّا فيما يخص المنهج المتبع هو:

-**المنهج التاريخي الوصفي**: الذي اعتمدنا عليه لوصف تلك الحقبة التي شهدت أحداثا وثورات كثيرة بدءا بالإضطهاد الديني والإنشقاق الكنسي وثورات نهاية القرن الرابع ميلادي، كما وظفنا المنهج التاريخي الوصفي في التعريف بالشخصيات التاريخية وبعض المصطلحات الواردة في الموضوع.

-**المنهج التاريخي الإستقرائي**: الذي اعتمدنا عليه إلى جانب المنهج الوصفي في تحليل الأحداث التاريخية والمعلومات التي تضمنتها دراستنا وإستنتاج الوقائع، فقد تطلبت منا الأحداث التي تضمنتها دراستنا القراءة المكثفة والدراسة المتعمقة والتحليل المفصل قصد الوصول إلى نتائج.

-المنهج المقارن: لقد تطلب نقلنا للمعلومات من المصادر الكاثوليكية وكتابات الأجانب التي كانت متحيزة نوعا ما ومتناقضة الإعتماد على المنهج المقارن الذي يعتمد مقارنة المعلومات والأحداث ببعضها البعض وتمحيصها وذلك بغية الوصول إلى معلومات دقيقة وصحيحة.

ومن أجل إتمام وإنجاز الموضوع المراد دراسته قمنا بالإستعانة بمجموعة من المصادر والمراجع والتي ساعدتنا وخدمت دراستنا كثيرا نذكر أهمها:

المراجع:

- أهم المراجع التي خدمت موضوعنا والتي اعتمدنا عليها لإنجاز مذركتنا تمثلت في:

كتاب مُحَّد المبكر بعنوان شمال إفريقيا القديم-حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية(305-429م)، والذي اعتمدنا عليه كثيرا سيّما في الفصل الثالث.

كتاب مُحَّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، والذي ساعدنا في معركة ظروف وخلفيات نشأة حركة الدوارين واعتمدنا عليه تقريبا في كل الفصول.

كتاب شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، الجزء الأوّل، وقد خدم هذا المرجع دراستنا كثيرا ورافقنا في كافة الفصول.

كتاب روبين دانيال، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأوّل إلى القرون الوسطى، والذي اعتمدنا عليه في موضوع الإنشقاق الكنسي.

المقالات:

كما اعتمدنا على مجموعة من المقالات نذكر منها:

مقال مُحَمَّد البشير شنيتي، نظرة على الوضع الديمغرافي والإجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، حيث استعنا بهذا المقال في الفصل التمهيدي فقد خدما في التعرف على الأوضاع الإجتماعية في المغرب خلال الإحتلال الروماني.

مقال نبيلة حمودي، الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس ميلادي، والذي اعتمدنا عليه في إنجاز الفصل الثالث وإبراز ماهية الدوناتية والوقوف على حقيقة الإنشقاق الدوناتي.

مقال خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي، حيث اعتمدنا على هذا المقال في إبراز الجدل الكاثوليكي الدوناتي وإبراز موقف الكنيسة الكاثوليكية الرسمية من الدوناتية وحلفائها الدوارين.

مقال أويحي سعيدة، ثورة جيلدون ضدّ الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا، حيث اعتمدنا على هذا المقال في التعرف على ثورة جليدون وإبراز دوافعها ونتائجها.

الأطروحات:

اعتمدنا على مجموعة من أطروحات الماجيستير والدكتوراه أهمها:

أطروحة دكتوراه، الربيع عولمي بعنوان"المسيحية في بلاد المغرب ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس ميلاديين"، والتي اعتمدنا عليها كثيرا في إنجاز دراستنا حيث اعتمدنا عليها في كافة الفصول كونها غطت كل الأحداث والمحاور التي تناولتها دراستنا.

بالإضافة إلى أطروحة دكتوراه، عمران عبد الحميد" الديانة المسيحية في المغرب القديم- النشأة والتطور(180م-430م)، والتي أفادتنا كثيرا واعتمدنا عليها في كلّ الفصول.

وكأيّ بحث علمي تجد نفسك أمام جملة من المشاكل والصعوبات والتي تمثل أبرزها في طول الموضوع وتشعبه، صعوبة ضبط الإشكالية خاصة وأنّ موضوع حركة الدوارين يتداخل وموضوع الحركة

الدوناتية، قلة المصادر وانعدام أهم مصدر تناول حركة الدوارين وهو كتاب أوبطا الميلي، قلّة المصادر التي تناولت الدوارين والدوناتية بموضوعية خاصة وأنّ أغلب المصادر قد كتب في سياق الجدل الديني حيث كانت منحازة للكاثوليكية ودعاية للسلطة الرسمية، إضافة إلى قلّة الدراسات والأبحاث باللغة العربية التي تناولت حركة الدوارين وبالأخص أطروحات الماجيستير والدكتوراه، إضافة إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها موضوع حركة الدوارين والذي يضع على عاتقنا مسؤولية وأمانة عليمة عظيمة لا نقوى على تأديتها بأتم وجه.

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد تمكنا من إنجاز هذه المذكرة وفقا لما يتطلبه البحث العلمي وما تبتغيه أهمية الموضوع.

الفصل التمهيدي

(الأوضاع العامة قبيل ظهور حركة الدوارين)

- الأوضاع الدينية :

- الأوضاع السياسية:

- الأوضاع الإجتماعية و الأوضاع الإقتصادية:

الأوضاع الدينية قبيل ظهور حركة الدوارين:

-الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم :

اختلف المؤرخون حول ظهور الديانة المسيحية في بلاد المغرب،حيث شهدت عدة اراء حول ظهورها في المنطقة المغاربية القديمة نذكر منها:

علماء الاثار : الذين لم يعثروا على ادلة تحدد تاريخ ومكان الوصل المسيحية لبلاد المغرب القديم قبل منتصف القرن الثاني للميلاد.[1]

ولكن بول منصبري يرى ان المسيحية وصلت إلى بلاد المغرب من الشرق وكمثال على ذلك (قرطاج) من خلال الادب الاغريقي المسيحي بواسطة القديس تريليانوس خلال القرن الثاني للميلاد، و هذا دليل على ان الميسحية وفدت إلى المغرب القديم من الشرق[2] انظر الخريطة رقم (01) ص 06.

ترتب على الانشقاق الذي كان ملازما للنصرانية منذ العصر الأول لها أن ظهرت مذاهب وفرق شتى في المسيحية في القديم والحديث، لكل منها عقيدتها ومبادئها التي تخالف بها الأخرى، وقد كانت بذرة الانفصال بين الكنيستين الشرقية والغربية سببها ان لكل واحد منهما طبيعة خاصة وميول واتجاه خاص وكانت من أبرز هذه الخصائص ظهور اختلاف في ثقافة الكنيسة، ويعود الانشقاق بين الكنيستين للقرن الخامس بسبب مجمع خليقدونيا" عام 451 م

[1]-ربيع عولمي ، المسحية في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص233.

[2]- طار ق احمد عثمان و عبد الوهاب الطيب البشير ، المسيحية في افريقيا ، رقم :451، مركز البحوث و الدراسات الافريقية ، جامعة إفرقيا العالمية ، (د،ب،ن)،2003، ص 46.

فأصبحت كنائس الشرق تحت قيادة كنيسة الإسكندرية تعرف بالكنائس الأرثوذكسية وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما تعرف الكاثوليكية*(**catholique**).

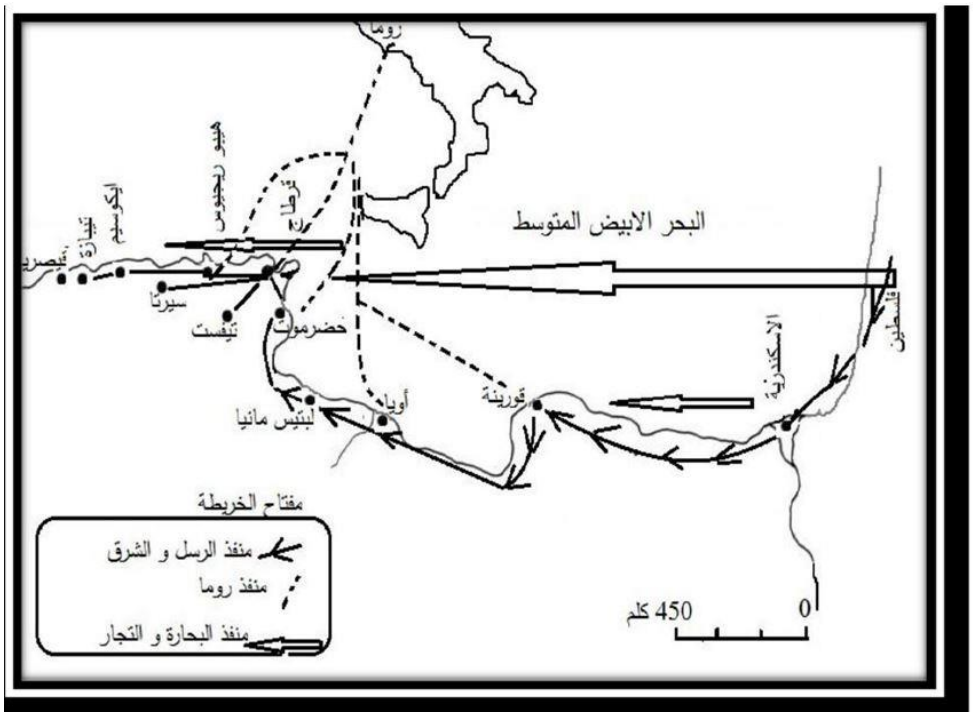

الخريطة رقم (01):

منافذ المسيحية الى المغرب القديم.

نقلا عن :ربيع عولمي،المسيحية في المغرب القديم، ص 236.

الكنيسة الكاثوليكية:

تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن مؤسسها الأول والحقيقي هو بطرس كبير الحواريين وأنه قام بإدارة أمور الجماعة النصرانية في روما وكان أول أسقف لها وأنه قتل وصلب منكوس في روما ودفن فيها، وقبره تحت المبنى الذي فيه الكرسي البابوي في الفاتيكان في روما، أي أن لبطرس علوا وشأنا أرفع من باقي الحواريين عندهم وأنه قد تم على جدرانها نقش أسماء الباباوات في سلسلة متصلة غير

* - الكاثوليكية : أصل كلمة كاثوليكي **catholique** مشتق من لفظة يونانية كاثوليكوس **catholicos** التي تعني العالمية أو العالم أو الشامل أي أنها الديانة العالمية، للمزيد ينظر :ابراهيم السيد، المرجع سابق ،ص6.

مقطوعة ابتداء من القديس بطرس حتى الوقت الحاضر[1]، كما يعتقد الكاثوليك أيضا أن بولس كان له الدور الكبير في تكوين طائفتهم وكنيستهم وهو أول من أشهرها، فالكاثوليك يؤمنون بأن بطرس وبولس كلاهما يعتبران مؤسسين لكنيستهم وأنهما قتلا على يد الرومان في اضطهاد الإمبراطور نيرون سنة 64م ودفنا هناك.

وفيما يلي نتطرق للعقائد التي جاءت بها الكاثوليكية:

-تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بأن الله واحد بثلاثة، ألهيه متساوية في الجوهر والصفات وهي الأب والابن والروح القدس والثلاثة عنهم إلهية.

- تعتقد بأن الروح القدس منبثق من الأب والابن.

-تعتقد الكنيسة الكاثوليكية بالنار المطهرية التي تعتقل فيها النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة الكاملة وتظل تعذب في النار عذابا أليما حتى نفي ما بقي عليها من الدين للعدل الإلهي وعندئذ يسمح لها بدخول الملكوت.[2]

-تعتقد في عصمة البابا من الخطايا وأنه يحق له أن يفعل ما يريد ويشرع لهم ما يشاء

- حرمت الكنيسة الكاثوليكية الزواج على جميع رجال الدين.

-تفسر الكتاب المقدس مختص دون غيره بالبابا فهو أعلى عن المجامع[3].

---

[1]- السيد الباز العريني، تاريخ اوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (د،س،ن)،ص157.

[2]-حسن الباش، العقيدة لنصرانية بين القران و الاناجيل ،(د،ط)، دار قتيبة ، دمشق ، 2001،ص125.

[3]- عادل درويش، الكنيسة اسرارها وطقوسها، سلسلة الرسائل العلمية ، ط1،دار ابن حزم، مصر، 2012م، ص-ص 12-13.

-الكنيسة الأرثودوكسية:

تذكر المصادر المسيحية أن مرقس الرسول أول من دعا إلى النصرانية في الإسكندرية بعد منتصف القرن الأول، وكان قد قدم أليها بعد رحلة شملت شمال أفريقيا، وأستقر به المقام في الإسكندرية فأخذ يدعو فيها إلى النصرانية حتى آخر حياته[1] ومرقس الرسول – كما يزعم الأقباط – أول من أسس الكنيسة الأرثوذكسية سنة 62م وأول بابا لها في مصر[2]، وهذا الإدعاء هو نفس ما ادعته الكنيسة الكاثوليكية مثلما تطرقنا له في أن بطرس هو أول بابا لكنيستها، وكلا الإدعاءين تنقصه البراهين التاريخية التي تثبت ذلك لاختلاف الروايات حول هذا الموضوع، مع عمليات التبشير التي قام بها مرقس الرسول تغلغلت المسيحية داخل مصر ووجدت فيها حقلا خصيبا ترعرعت فيه بسرعة كبيرة.

ويرجع ذلك إلى أن التفكير الديني المصري القديم وصل في تطوراته على مر العصور إلى الكثير من النتائج التي تعتبر من أسس المسيحية.

-عقائد الكنيسة الأرثوذكسية :

يمكن أن نوجز أهم الأصول العقائدية للكنيسة الأرثوذكسية بما يلي :

–المسيح له طبيعة واحدة ومشيئة واحدة في أقانيمه الثلاثة فهو في كل أقنوم منها يحمل هذه الطبيعة الإلهية[3].

– يعتقدون بأن روح القدس نشأ عن الإله الابن فقط.

– أفضلية الإله الأب عن الإله الابن[1].

---

[1]–يسطس الدويري ، موجز تاريخ المسيحية ، مطبعة ملجأ الايتام القبطي ، مصر 1949م،ص93.

[2]– زكي شنودة ، موسوعة تاريخ الاقباط،ج1،(د،د،ن)،(د،ب،ن)، (د،س،ن)،ص –ص74–84.

[3]– محمد عزة الطهطاوي ، النصرانية و الإسلام ،ط2،مكتبة النور ،مصر ،ص140.

– نظام الكنيسة الأرثوذكسية يبدأ من البطريرك ويليه في الرتبة المطارنة ثم الأساقفة ثم القسس أصحاب الامتياز ثم القسس العاديون، أجازت الكنيسة الأرثوذكسية (على عكس الكاثوليك) لرجال الدين الزواج بشرط أن لا يصل إلى رتبة الأساقفة[2].

-الكنيسة الدوناتية :

لا يزال تاريخ جذور الدوناتية وبداية الانشقاق الديني يكتنفه كثير من الغموض، وينطلق المؤرخون أساسا مما أصطلح على تسميته بملف الدوناتية الذي يتكون من مجموعة الوثائق الإدارية والكنسية التي يتراوح تاريخها ما بين 314 و 330م[3]، ويتضح من كتابات رجال الجدل الكاثوليك أن العناصر المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية هم من أطلقوا على الكنيسة اسم " الكنيسة الدوناتية " نسبة إلى الأسقف "دوناتوس"* من قرية " الديار السود " الواقعة شمال باتنة بمقاطعة نوميديا الذي كان له دورا هاما في تأسيسها والأسقف دوناتوس القرطاجي " الذي نظمها، تبرز مختلف الشهادات التي أشارت إلى بداية الانشقاق أن اضطهادات الإمبراطور " ديوكليتيانوس" خلال الفترة 303 – 305م أدت إلى ارتداد الكثير منهم، وطرحت مشكلة الانقسام بقوة في الكنيسة الإفريقية، التي ظلت متحدة كما قال قبريانوس : " الكنيسة الكاثوليكية واحدة[4] أصبحت تلك الكنيسة ووحدتها مهددة بعد فترة الإضطهادات العنيفة مع بداية القرن الرابع للميلاد

---

[1]–مُحَمَّد نبيل طاهري العمري و مُحَمَّد احمد الحاج، مقارنة اديان ،منشورات جامعة القدس المفتوحة ، الاردن ، 1998،ص304.

[2]–أحمد شلبي ، مقارنة الاديان المسيحية، ط8، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ،1984م، ص–ص 202–203.

[3]–خديجة منصوري ، مرجع سابق ، ص266.

*–**دوناتوس**(Donatus): أكد الدوناتيون في مناظرة قرطاجة سنة 133م أن هناك شخصت يدعيان دوناتوس، الأول دوناتوس "الديار السوداء Donatus Casae Nigrae "من مدينة بغاي Bagai (قرب خنشلة حاليا) بنوميديا، وهو الذي صدر في حقه أول حكم ضد الدوناتية في مجمع روما سنة 333م، والثاني دوناتوس "الأكبر " المعروف بالقرطاجي الزعيم الدوناتي الذي نظم وقاد الكنيسة الدوناتية مدة 10 سنة إلى أن توفي في سنة 333م . للمزيد ينظر ، ربيع عولمي : المسيحية في بلاد المغرب القديم المرجع السابق، ص 290.

[4]– المرجع نفسه ،ص380.

وكان من ضحاياها في إفريقيا شهداء قرية " أبتينا** " بقرطاج في 12 فيفري 304 م والذين راحوا ضحايا الإضطهاد بتهمة عقد اجتماعات ممنوعة[1]، وسجن الكثير من نفس القرية الذين صمدوا رافضين الضغوط الممارسة عليهم لكي يرتدوا عن دينهم وأعطوا مثالا للمقاومة والحفاظ على المبادئ، في الوقت الذي أتهم فيه أسقف قرطاج " منصوريوس " بعدم القدرة على الصمود، وأنه قام بتسليم الأواني والكتب المقدسة إلى السلطات لإحراقها، وعلى ضوء هذا الاتهام نشبت خلافات حادة في تفسير هذا العمل وتبريره اذ يرى بعض المسيحيين أن هذا مبرر لحقن الدماء، في حين يرى اخرون انه فعل الخونة الماريقين[2].

ومنذ أحداث أبتينا سنة 304م بدأ الانشقاق يتسع في الكنيسة الإفريقية والتي اتضحت معالمه بعد انتهاء الاضطهاد ببضع سنوات (312-311م) خاصة اضطهادات الإمبراطور ديوكليتيانوس التي تركت أثرا عميقا في المغرب القديم تمثلت في حدوث الانشقاق في الكنيسة الإفريقية التي ظلت موحدة منذ ظهورها، وتشير الوثائق التاريخية إلى أن الخلافات كانت عميقة، منها ما ذكرته المصادر عن المجمع الكنسي الذي عقد بمدينة سيرتا في 5 مارس 305م لتعيين أسقف جديد للمدينة بعد وفاة الأسقف " بولوس"، وهو ما كان ذلك عندما تم انتخاب نائب الشماس " سيلفانوس*" كأسقف جديد لمدينة سيرتا رغم معارضة الكثير من رجال الدين ووجهاء

- **أبيتينا : مدينة صغيرة على حوض مجردة، تعرف اليوم باسم شهود الباطن بالقرب من مدينة مجاز الباب بتونس ، وقدمت شهداء مسيحيين بلغ عددهم أربعة و أربعين شهيدا يتقدمهم الكاهن ساتورنيناس Saturninas وأربعة من أبنائه، حيث سيقوا إلى قرطاج واستنطقوا ثم أودعوا السجن في 12 فيفري 304م، ويتهم "كاسيليانوس" الشماس لدى "منصوريوس" أسقف قرطاج بمنعهم من الأكل حتى ماتوا جوعا . للمزيد ينظر ، مُحَّد المبكر، شمال أفريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية (429) (305)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، المغرب، 2001، ص18.

[1]- شارل اندري جوليان ،تاريخ شمال افريقيا الجزائر تونس المغرب الاقصى من الفتح الاسلامي الى 647م، تع البشير سلامه ومُحَّد مزالي،ط4 ،الدر التونسية للنشر، تونس، 1969م، ص284.

[2]– عمران عبد الحميد ،الحركة الدوناتية بين الانشقاق الديني و التحرر،مرجع سابق ، ص81.

*– **سيلفانوس** : هو احد الاساقفة الذين طعنوا في انتخاب كايكاليانوس اسقف قرطاج، وعينوا مكانه ماجورينوس الذي خلفه دوناتوس الاكبر ، للمزيد انظر ،نفسه ص 389.

المدينة، الذين اتهموه بالخيانة[1] وأهم ما يلفت الانتباه بخصوص هذا المجمع ذلك الانشقاق الديني الذي عاد أن يحدث إثر محاولة " سيكوندوس " كبير أساقفة نوميديا التحقيق مع الأساقفة الحاضرين في هذا المجمع حول مواقفهم أثناء الاضطهاد، بحيث اضطر هذا الأخير وأمام إصرار هؤلاء الأساقفة على الانفصال في حالة مواصلة التحقيق معهم إلى غض النظر عن مشكلة الارتداد قائلا : " أنتم تعرفون بعضكم بعضا والله يعرفكم، ومما لا شك فيه أن المناقشات التي دارت في مجمع سيرتا قد ساهمت في تهيئة الأرضية لظهور الدوناتية، لاسيما بعد الخلافات التي نشبت بين سكان الريف المؤيدين السيلفانوس والأثرياء المعارضين له، والتي سرعان ما غنتها دوافع أخرى متنوعة.

تعد سنة 311 م نقطة تحول في تاريخ المغرب القديم حينما علم النوميديين بأن الكنيسة المسيحية قد نصبت كايكيليانوس أسقفا لقرطاجة، وأن واحدا من الأساقفة الذين اشتركوا في سيامته كان خائنا، أي من أولئك الذين سلموا الكتب المقدسة للسلطات الرومانية أثناء الاضطهاد، فعارض أهل نوميديا هذا التنصيب وأجتمع سبعون أسقفا منهم وقرروا عدم الاعتراف بشرعية الشماس كايكيليانوس"، وقاموا بترسيم اسقف جديد يدعى ماجورينوس وراسلوا بقية أساقفة إفريقيا يطلعونهم ما تم إجراءه، وفي هذا السياق تشير المحاضر أن امرأة غنية ذوي أصول أسبانية تدعى " لوكيلا"*، لعبت دورا هاما في عدم الاعتراف بانتخاب"كايكيليانوس"*وسيامته وتعيين القارئ ماجورينوس مكانه، وذلك بعقد المجمع المناهض له في بيتها بقرطاجة سنة 312م [2]،

1- ربيع عولمي ، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم ، مجلة البحوث و الدراسات الجامعية، ع 13،جامعة حمة لخضر، الوادي،2017 ،ص268.

*- **لوكيلا:** إمرأة قرطاجية غنية يرجح انها حافظت على الاواني الذهبية والفضية المقدسة للكنيسة ،اثناء الاضطهاد ، وبحسب اوبطا الميلي فان سبب الخلاف يعود الى غضب لوكيلا من مطران قرطاج الذي لم يتقبل نصيحته لها بالتوقف عن تقبيل عظم بشري يعتقد انه لشهيد ، وتكون قد اثرت بمالها لأجل انتخاب "ماجورينوس"و أتهم القديس اوغسطين " اسقفة نوميديا بانهم تلقوا اموالا مقابل ادانة "كاسيلسانوس " وانتخاب "ماجورينوس".للمزيد ينظر : عبد الحميد عمران ،الديانة المسيحية في المغرب لقديم ،مرجع سابق، ص130.

2- أحمد علي عجيبه ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، موسوعة العقيدة والاديان،ج10، ط1، دار الافاق العربية، مصر، 2006م، ص241.

وكانت هذه الأخيرة قد استغلت هذه الظروف للانتقام من كايكيليانوس، الذي كان قد جرح شعورها في فترة سابقة حين نصحها بالتخلي عن تقبيل قطعة عظم كانت تحملها معها أثناء وقت العبادة، ونجحت لوكيلا في المجمع المنعقد بدارها في التأثير بفضل موالاتها بعض الأساقفة وكسبهم إلى صفها للتصويت على ماجورينوس التي رشحته المنصب الأسقف عوض كايكيليانوس، وبعد وفاة "ماجورينوس"*أثناء انعقاد مجمع روما سنة 313 م، خلفه دوناتوس الأكبر " الذي أعطى أسمه للدوناتيين، وكان يملك صفات القائد فأسس ودعم الكنيسة الجديدة . وقد اعتبر دوناتوس الكنيسة الجديدة هي الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية وسماها "كنيسة الشهداء " وبذلك ظهرت الحركة الدوناتية التي حملت اسمه والتي عرفت ايضا بحزب دوناتوس(DONATI PARS II).

القديس أوغسطين والحركة الدوناتية:

لما عاد أوغسطين إلى شمال أفريقيا أسقفا، وجد بدعا جديدة نادت بها الدوناتية بعد الاختلاف بينها وبين الأساقفة وحكام قرطاجة، وأسسوا لأنفسهم كنيسة خاصة وقالوا إنها مقدسة مباركة، ولما أتى أوغسطين إلى تلك المدن الإفريقية حاول التحاور مع هذه الفرقة، وأتباعها المنتشرين في كامل المدن التي اعتنقت المسيحية والتي تحمل إمبراطورية الروم، إذ أن الحركة الدوناتية شكلت خطرا كبيرا. ولكن أوغسطين في بداية الأمر حاول معهم بالحسنى ولكن بقوا في ضلالتهم، ولجأ أوغسطين على القوى التأديبية الخاصة بحكام روما في تلك المدن) قرطاجة وهيبون ... الخ) إلى غاية أن عقد اجتماع يخص الحركة الدوناتية لمزاولة أي قرار يخص تجاوزاتها، فكان ذلك بعقد مؤتمر قرطاجة الذي ترأسه أوغسطين في عام **411م**[1] بحضور جمع غفير متكون من 286 أسقفا كاثوليكيا و 279 أسقفا دوناتيا.[2]، رفض الدوناتيين حضور مناظرة قرطاجة مرغمين وتحت طائلة التهديد، وقد ساهمت تلك المناظرة في تطور الجدل بين مفكرين الكنيستين وبروز شخصيات فذة من هذا الجانب أو ذاك، بعضهم لعب أدوارا أساسية في تطور الفكر المسيحي برمته، والواقع أن

[1] حنا الفاخوري و اخرون، تاريخ الفك المسيحي عند اباء الكنيسة،(د، د)،منشورات المكتبة البوليسية، مصر، 2001م،ص735

[2] شارل اندري جوليان،المرجع السابق،ص308

تلك المناظرة تعد حدثا بارزا في تاريخ المسيحية في المغرب القديم إلا أن الدوناتيين لم يكونوا متحمسين لها وهم الذين مروا بتجارب عديدة سابقة تعاملوا فيها مع الكاثوليك والسلطة الرومانية، التي أصدرت في حقهم قوانين ومراسيم عديدة، وأيقنوا أن هذه السياسة التقليدية لن تنطلي عليهم، و بالرغم من أنهم يعلمون أن رئيس المناظرة كاثوليكي، فقد قرروا خوض تلك المغامرة، دامت تحضيرات المناظرة مدة طويلة بلغت حوالي 6 أشهر، كما أن أشغالها استغرقت ثلاث جلسات (1- 8جوان 411 م) عرفت خلالها إدانة صريحة للدوناتية وإن كانت إدانة نظرية مبدئيا، إلى أن تم إصدار مرسوم حظر والغاء الدوناتية رسميا في 26 جوان 411 م، وفيه تم الحكم ضد الدوناتيين من طرف المبعوث الإمبراطوري والحكم عليهم بالعودة إلى الكنية الكاثوليكية .. وبذلك أعلن عن نهاية الحركة الدوناتية رسميا بموجب قرارات مؤتمر قرطاج المشينة في حقها، ورغم ذلك ظلت في الخفاء ولم يتم القضاء عليها نهائيا إلى بعد ذلك بحوالي قرنين من الزمن .

المذهب الآريوسي :

يعود ظهور هذا المذهب إلى القس " آريوس*" ينظر للصورة رقم (01) ص 14، وهو ليبي المولد والنشأة، ويقال لأتباعه الأرارسة ومفرده الأريس وجمعه الأريسيون، ويقال أيضا الأريسي وجمعه أريسيون وأرارس وأرارسة[1] ظهر المذهب الأريوسي في أوائل القرن الرابع الميلادي على يد آريوس الإسكندري وأتباعه[2]، وكانت قد نشأت لعدم تفاهم المسيحية و إيمان طوائفها عامة، فأتباع الطائفة الأريوسية لا تعترف بإلهية المسيح بن مريم، منهم من يقول أنه إنسان صالح، ومنهم من يقول أنه مخلوق وفقط وهو ما تجلى في قولهم : "ان عيسى ليس إله وانما عبد الله مخلوق كسائر الانبياء والرسل، وانه كلمة الله التي خلق بها

---

*- ريوس : ولد في منطقة قورينا – ليبيا حاليا – عام 270 م لأب أسمه أمونيوس من أصل ليبي بريري ، كان طويل القامة نحيل الجسم ، وكان معروفا بأنه من الزهاد وذا خطب فصيحة وحجج مقنعة ، توفي سنة 336 م في ظروف غامضة . للمزيد ينظر ، مُحَمَّد أميريكن : يهوذا الأسخريوطي على الصليب ، (دط)، دار اقرأ للطباعة والنشر ،(د.ب.ن)، 1990م ، ص321.

[1]– طعيمة صابر : قراءة في الكتاب المقدس ، (دط)، دار الزمان للنشر والتوزيع ، السعودية ، 2006، ص 448.

[2]- لجنة الدعوة الالكترونية ، تاريخ المسيحية و التحول من التوحيد الى التثليث، الكويت، 2015م .

السموات والأرض [1]، في حين قال آريوس :" إذا اعتبرنا أن المسيح أبن الإله ومن نسله فلابد أن تكون ولادته قد وجدت في زمن ما، وعلى هذا لا يمكن وجود الابن متفقا مع وجود الأب الأزلي في الزمن. يضاف إلى هذا انه إذا كان المسيح قد خلق فلا بد أن يكون خلقه بالكلمة، أي أن المسيح ظهر من العدم والمظهر له هو الأب.

وعليه فإن الأب والابن ليسا من مادة [2]، وقد قصد آريوس من وراء أقواله تأييد وحدانية الله، وبذلك تم تجريد لمسيح من صفاته الإلوهية وأنه منقذ العالم مستثنيا بذلك فكرة الخلاص التي اعتبرتها المسيحية فكرة أساسية في العقيدة،(**REDEMPTION**)وهكذا استطاع آريوس بفضل روحانيته وأسلوبه الحكيم وبما أوتي من قدرة وعظيمة أن يستميل لفكرته كثيرا من المؤيدين معظمهم من رجال الدين المطلعين عليه بالرغم من الإضطهادات التي مرت بهم، ومع مرور السنين أحدثت تلك التعاليم صراعا فكريا ومذهبيا بكنيسة الإسكندرية التي كانت تنادي بمساواة الابن للأب في الجوهر والأزلية، أي أنها كانت تنادي بإلوهية المسيح[3] وقد بدأت مقاومة آريوس من قبل رئيس الكنيسة " ألكسندروس"*، في هذا النسق يقول أسد رستم: " وعلم ألكسندروس بما علم آريوس وصنعه عما كان يعلم به[4]، عمل ألكسندروس على منع آريوس من نشر تعاليمه، وأرجعوا ذلك أيضا مخالفة لتعاليم الكنيسة، إلا أن آريوس لم يعبأ له وأستمر في نشر تعاليمه، فأضمر له ألكسندروس

---

[1]- الأب الكسندروس ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ج 1، (دط)، مطبعة النجمة للنشر، (د.ب.ن)، (د.س.ن)، ص 73-75.

[2]- مُحَمَّد أميريكن ،يهوذا الاسخريوطي على الصليب، (د، ط)، دار اقرأ للطباعة للنشر ،(د،ب،ن) ،1990م، ص 321.

[3]- زكي شنودة ، موسوعة تاريخ الاقباط،(ب،د،ن)، (ب،د،ت) ، ص172.

*-ألكسندروس : اسمه الحقيقي إسكندر الاسكندري ، بطريرك الاسكندرية في مطلع القرن الرابع حارب في أبرشيته الانشقاق المصري عموما وبوجه خاص عقيدة الكاهن آريوس ، قام بدور هام في المجمع النيقاوي الحرمان آريوس ولتحديد عقيدة الثالوث ، مات في حوالي 328 م . للمزيد ينظر ، صبحي حموي اليسوعي : مرجع سابق ، ص 40 .

[4]- أسد رستم : كنيسة مدينة الله ، ج 1 ، بيروت ، 1988، ص 193 .

الشر وعدل في معاملته إياه من المحاسبة إلى المحاسنة إلى المخاشنة بعد أن كثر مؤيدوه من الأساقفة [1]، كما تبعه عدد كبير من رجال الدين غير الأساقفة. وعندما اشتد النزاع بينهما عقدت عدة مجامع هنا وهناك لإزالة هذا الخلاف، لكن هذا ما لم يحدث، حيث عقد ألكسندروس مجمعا في الإسكندرية عام 319م قضى فيه بإدانة تعاليم آريوس، ثم عقد مجمعا ثانيا عام 321 م ضم أساقفة مصر وليبيا وقرر هذا المجمع لعن آريوس وأتباعه [2]، وفي هذا السياق يقول الشيخ أبو زهرة في كتابه : وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة فلم يعتمد إلى المناقشة والجدل حتى لا يأخذ آريوس حجته عليه.

وقد عمد إلى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة [3]، إلا أن آريوس هو وأشياعه سلك مثل ضد المسلك، فعقدوا مجمعين الأول في "بيثينية *" سنة 322م، والثاني في فلسطين 323م قرر فيه المجتمعون إلغاء الحكم الصادر على آريوس من بطريرك الإسكندرية [4]، وعلى الرغم من الموقف المتشدد الذي اتخذه ألكسندر اتجاه آريوس إلا أن أفكار هذا الأخير كان يؤمن بها الكثير من القساوسة في فلسطين وسوريا وأسيا الصغرى، هذا إلى جانب انه كان ينضم إلى آريوس في أفكاره أساقفة من ذوي الشهرة والمكانةوبعد وقت ليس بالطويل تم كن أريوس العودة مرة أخرى إلى الإسكندرية حيث أخذ يعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل ترويج أرائه ونشرها بين الجماهير عن طريق الأحاديث والأشعار، وقد ساعده

---

[1]- مُحَمَّد أحمد الحاج : النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، دار القلم للطباعة والنشر ، دمشق ، 1992 ، ص 120.

[2]- أحمد علي عجيبة ،تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، موسوعة العقيدة والاديان،ج10،ط1، دار الآفاق العربية ، مصر، 2006، ص 244.

[3]- مُحَمَّد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ،ط3، دار الفكر العربي، مصر، 1961م، ص 151.

*- بيثينية : يلفظها البعض أيضا (بيتينية أو بيتانيا) وهي إحدى أقاليم تركيا حاليا سكولاستيوس التاريخ الكنسي ، ينظر : سقراتيس سكولاستيوس ،التاريخ الكنيسي ،تر : بولا ساويرس ، (د. ن) ، (د ،ن)، (د،س،ن) ، ص 52.

[4]- الأنبا ألكسندروس ، مرجع سابق ، ص 85.

على ذلك ما كان يظهر بيه من مظاهر الورع والتقوى إلى جانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهي وحبه للنضال [1].

-انتشار مذهب آريوس:

في الواقع أن عقيدة آريوس ليست من إنشائه ولا من تأليفه بل إنها كانت معروفة ومذكورة ومشهورة من قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم فلقد أخذ آريوس هذه ممن سبقه من أولئك الذين ذكر برسالة وتعاليم المسيح عليه السلام واذا كانت عوامل الزمن قد احدثت بعض التغييرات التي لا تمد بصلة إلى تعاليم المسيح عليه السلام .

وقد أصبح لعقيدة اريوس شعبية و احتواء كبير واخذت تنتشر حتى طالت معظم الولايات الشرقية للإمبراطورية الرومانية [2].

-معتقدات المذهب الأريوسي :

تنص عقيدة التوحيد المسيحي التي تبناها آريوس على أن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه الإنس في ذاته تعإلى، فكل ما كان خارجا عبد الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء، وبإرادة الله ومشيئته. وهذا يعني أن المسيح، ضمن هذا التعريف بشرا مخلوقا. كما أن المذهب الأريوسي لا يعتقد بإلوهية المسيح، فهو مولود من الله الأب، لذلك فإن علاقته مع الأب هي علاقة بنوة وليست علاقة مساواة أو مشاركة في ذات الطبيعة الإلهية[3]، ويمكن أن نلخص أفكار آريوس عن السيد المسيح وألوهيته في النقاط التالية :

– الله لم يكن دائما أبا، في وقت كان هو الله وليس أب.

---

[1]- أحمد علي عجيبة ، مرجع سابق ، ص 245.

2– صفاء جنحاني فارس حمايتي ، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، مذكرة مكملة لمعطيات للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة، جامعة الشهيد حمة لخضر ،الواد،2017-2018.

[3]–نهاد خياطة ،الفرق و الذاهب المسيحية من البداياتحتى ظهور الاسلام، (د،ط)، دار الاوائل، (د،ب)،(د،س) ، ص–ص 81-82.

-الكلمة أو الابن هو خالق صنعه الله من العدم.

-يوجد كلمتان وحكمتان وعدة قوى الله ث الأب متغير لكنه ظل ثابتا بنعمة من الله معرفة الابن الله غير كاملة، لأن الكيانات المخلوقة لا تقدر أن تعرف خالقها بشكل مطلق.

- الثالوث كائن في ثلاثة أقاليم غير متساوية في الجوهر.

- المسيح غير أزلي وقد خرج من العدم مثل باقي خلائق الله وبحسب قصد ومشيئة الله[1].

- هو ليس إلها كما يعتقد المسيحيون ومعرفته محدودة، و لأنه مخلوق إلهي فإن الله قد منحه الحق في أن يسلك طريق الصلاح والكمال[2].

- وحدانية الله تعإلى بذاته وصفاته، كما أنّ الله تعإلى أزلي لا بديل له.

- احتياج الله إلى وسيط ليخلق العالم، و الوسيط هو المسيح (الابن) فهو مخلوق غير أزلي غير مساو للأب في الجوهر وبذلك أنكر ألوهية المسيح [3] .

الأوضاع السياسية :

إن المغرب القديم كان الوجهة المثالية للرومان من حيث الثروات و إعتباره مصدر للمحاصيل الزراعية من قمح وزيت زيتون وغيرها ولكن بعد الأزمة التي ظهرت في الإمبراطورية، تأثر الجيش و خاصة إن رواتبهم كانت محاصيل زراعية يلزم الأهالي بدفعها [1]،فلجات السلطة إلى إجراءات للخروج من هذه الأزمة و ذلك بزيادة قيمة الضرائب الذي أثقل كاهل الأهالي، فلجؤا إلى المدن

---

[1]-عبد الباقي السيد عبد الهادي ،الآريوسية في مصر البزنطية خلال القرنين الرابع والخامس ميلادي،(د،ط)،دار الآفاق العربية، مصر، 2016م ،ص 86.

[2]-نفسه ، ص87.

[3]- مُحَمَّد احمد الحاج،النصرانية من التوحيد الى التثليث، دار القلم للطباعة والنشر،دمشق،1992م، ص173.

[1]- شارل اندري جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الاقصى من الفتح الاسلامي الى 647م،تع : البشير سلامة و مُحَمَّد مزالي ، ط4، دار التونسية للنشر ، تونس ،1969م،ص271.

تاركين أراضيهم، فقل الانتاج و إزداد الفقر، وعمل الكثير منهم كأرقاء لدى اصحاب الملكيات الكبرى للحصول على قوتهم، لكنهم أشغلوهم وجعلوا منهم أتباعا لهم و عبيد [2]، فإستغل رجال الدين الوضع المزري الذي يعيشه الأهالي لنشر تعاليم المسيحية ، ودعوتهم إلى العمل وكسب الرزق دون الإتكال على الغير، ومساعدة الطبقات الفقيرة،مما جعل الطبقات الغنية التي تتبع الوثنية تتهم المسيحيين بتبديد الثروة فراحوا يحاربونهم، وينتقمون منهم [3]، وإزداد العداء للمسيح من اليهود والسلطة [4]،كما نجد في إحدى النصوص للرسول بولس * ما يؤكد على العمل الشريف حيث يقول :لم ناكل خبزا مجانا من عند أحد بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلا ونهارا، لكي لا نثقل على أحد منكم وان كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل [5].

فوجد الأهالي الخلاص من المعاناة وتلك الأوضاع السيئة في هذا الدين الجديد الذي إستغل هذه الأوضاع لنشر أفكار المسيحية،وبعد مرور الوقت فرضت المسيحية تعاليمها شيئا فشيئا حيث اصبحت لها مكانة واهمية وذات تأثير على السلطة في بعض الاحيان نذكر منها الخلاف الذي وقع بين الكاثوليك والدوناتيين حيث طلب الكاثوليك الدعم من الامبراطور في التصدي للدوناتيين [1]، فاستجاب لهم الامبراطور بعد دراسته للتقرير الخاص بهذه القضية قام بتعيين الاسقف الكاثوليكي كايكليانوس اسقفا لكنيسة قرطاج واعتبر الدوناتيين خارجين عن القانون، وقد احتج الدوناتيين على

---

[2] –اندري برنار و اخرون ، الجزائر بين الماضي و الحاضر ، تر : رابح الاسطنبولي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984م، ص 08.

[3]– عبد الحميد رأفت ، الدول و الكنيسة ، ج1، (د،ط)، كلية الادب عين الشمس ، مصر ، (د، ت،ن)، ص27.

[4]– عبد الحميد عمران ،الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص100

*–بولس : (**St.pouls**) ، 10–67م ، قديس اشتهر بلقب الرسول الامم ، كان يهوديا متشددا ثم اعتنق المسيحية ، واصبح انشط المبشرين لها في القرن الاول للميلاد ،ثم حكم عليه بالصلب و الاعدام ، سنة 67م، في روما عهد الامبراطور نيرون ، لديه العديد من الرسائل الموجهة الى مختلف الكنائس ، للمزيد ينظر ،محمد ابراهيم كركور ، مرجه سابق ، ص–ص 198–202.

[5]– روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص40.

[1]– ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ،ص– ص243–244

هذا القرار ونادوا بضرورة تطبيق حرية المعتقد،ووضع حد للاضطهاد الممارس ضدهم من السلطة [1]، وبتولي الامبراطور جوليان الحكم اعطى الكنيسة الدوناتية حريتها الدينية سنة 362م، فاستغلوا هذه الحرية للرد السلبي على خصومهم الكاثوليك وذلك من خلال الحرق والسلب والإستلاء على الكنائس بالقوة واضطهاد أعدائهم [2]،كما عملت الكنيسة الدوناتية عل جلب الاهالي عن طريق المساعدات التي كانت تقدم للأهالي الفقراء و المحتاجين الذين كانوا يمثلون الاغلبية ما زاد عدد الاهالي المعارضين للكاثوليك المدعمة من طرف السلطة الرومانية، وقد سمح هذا للمغاربة بتكوين كنيسة مسيحية خاصة بهم حقيقة لها معابد و أسقفتها في جل المناطق تقريبا [3]، الذي جعل منها كنيسة مستقلة بخصوصياتها وكذلك متميزة بمجاراتها للسلطة.واعتبروا انفسهم انهم الوحيدين الذين يمثلون الكنيسة الحقيقة في العالم، حيث ان الكاثوليك حرضوا على فكرة اضطهاد الدوناتيين بالإضافة إلى الخصومات الدائمة بين انصار كلا الكنيستين الذين يعيشون في نفس المدن و القرى، ووصل الامر بينهم إلى استعمال العنف[4]،كانت الامبراطورية الرمانية تعتبر الدين المسيحي عدوا لها وخطرا يهدد كيانها حيث اعتبرته امتدادا للديانة اليهودية التي كانت موضع كراهية من الرومانيين الوثنيين[5]، وقد كانت الكنيسة ترى ان عبادة الامبراطور شرك ورفضته و اعتبرت الامبراطورية ان الجماعة الدوناتية حركة متطرفة تعمل في السر على قلب النظام القائم، وسلطت عليهم اقصى انواع التنكيل والتعذيب والقتل في ابشع صوره، عاقدة العزم على ابادتهم والقضاء عليهم نهائيا [6].

---

[1]— مرجع سابق ، ص 248.

[2]— عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار ، الديانة المسيحية في المغرب قبل الفتح الاسلامي، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية ،ع30،جامعة بابل، العراق، 2016، ص40.

[3]— أحمد توفيق المدني ، قرطاجة في ربع عصور ،(د،ط)،طبعة تونس ، تونس ،1986م، ص–ص 114–117.

[4]- ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ، مرجع سابق ، ص 265.

[5]-احمد شلبي ، مقارنة الاديان المسيحية ،ط8، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1984م، ص 71.

[6]- ويل دورانت ، المرجع السابق ، ص–ص 370–371.

تعتبر فترة من ظهور المسيحية إلى غاية مطلع القرن الرابع ميلادي، فترة اضطهاد قام بها الاباطرة الرومان ضد الجماعات المسيحية ومن بين الحكام الذين قاموا بذلك نذكر منهم :

-نيرون(64-68م): كان أول أمبراطور يقوم باضطهاد المسيحيين، وذلك بداية من سنة 64م[1]،إلى غاية وفاته 68م، بعدها عاشت الكنيسة فترة من الامن و السلم، دامت حوالي 30 سنة، ينظر صورة رقم (01) 18.

-دوميتيانوس(81-96م): بعد إعلان نفسه كإمبراطور عمل على اصلاح احوال البلاد لكنه سرعان ما اتخذ موقفا ضد المسيحيين لانهم رفضوا عبادته فقام باضطهادهم وقام بفرض الضرائب على كل من يقدس الانجيل من اليهود والنصارى، كما اعاد احياء المراسيم التي اصدرها نيرون في حقهم[2].ينظر صورة رقم (02)، ص19.

الصورة رقم (02):

الإمبراطور نيرون (64-68م)

نقلا عن : ربيع عولمي، المسيحية في المغرب القديم، ص266.

[1]- متولي يوسف شلبي ، اضواء على المسيحية (د،ط)،دار الكوتية للطباعة ، (د،ب،ن)، 1968م، ص24.

[2]-ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص—ص 276-283.

الصورة رقم (03):

الإمبراطور دوميتيانوس (81–96م)

نقلا عن : محمد أحمد أنديشة، المرجع السابق، ص –ص 74-75.

تراجانوس (98–117م) : أصدر قوانين جميع انحاء الامبراطورية ومنعهم من ممارست شعائرهم الدينية، وان كل من يخالف هذا يلقى اشد انواع العذاب والتنكيل[1]، انظر صورة رقم: (03)ص 20.

ورغم كل ذلك لم يتراجع المسيحيين عن دينهم، فلجا الامبراطور إلى قتل الكثير منهم،و القائهم إلى الوحوش الضارية في عروض امام العامة استمرت 123 يوما هلك فيها الكثير من المسيحيين.[2]

ماركوس أويليوس (166–177م): كان موقفه من المسيحيين قاسيا لانهم يهددون الامن واستقرار الامبراطورية[3]، وبعد انتشار الطاعون سنة 166م في كافة انحاء الامبراطورية واعتبره

[1]–عزت زكي ، المسيح و الفلاسفة أثينا ، دار الكنيسة الاسقفية للنشر و التأليف ، مصر ، 1986م،ص 125.

[2]–ادوارد جيبون ، اضمحلال الامبراطورية الرومانية ،و سقوطها ، تر ، مُحَمَّد علي ابريدة، ط2، مصر ، 1997م،ص 30.

[3]– روبين دانيال ، اصول التراث المسيحي في شمال افريقيا–دراسة تاريخية من القرون الاولى الى القرون الوسطى، تر: سمير مالك ،دار المنهل الحياة، لبنان، 1999م، ص 111.

المسيحيون عقابا واشارة إلى نهاية العالم فتم اضطهادهم بقسوة و الحق بهم اشد انواع العذاب[1]، في فترة حكم الامبراطور كلوديوسن،رفض هذه الديانة رفضا قاطعا ومارس اشد انوا ع الاضطهاد ضد كل المسيحين[2] .

صورة رقم (04):

الإمبراطور تراجانوس (98–117م)

نقلا عن : أحمد مُحَمَّد أنديشة، المرجع السابق ص75.

[1]– ويل ديورانت ،قصة الحضارة، تر :مُحَمَّد البدران، ج 2،(د، ط)،دار الجيل ، لبنان، (د،س)،ص402.

[2]– بوسايبوس قيصري ، المرجع السابق ، ص71.

ثم في عهد الامبراطور تراجان* قل الاضطهاد في احدى فتراته ما سهل عليهم نشر ديانتهم في روما وخارجها من مناطق التابعة لها كبلاد المغرب القديم.

سبتميوس سيفروس*(199-204م) :كان هذا الامبراطور وثنيا متشددا أصدر سنة 202م، مرسوما يحضر اعتناق المسيحية واليهودي، وقد اشتد الاضطهاد اكثر عندما رفضوا تقديم الذبائح للتماثيل للإمبراطور فتعرضوا لأشد انواع التعذيب و القتل[1].ينظر صورة رقم (04)ص23.

ماكسيميانوس تراكس (235-238م): ان رجل عسكريا تولى عرش الامبراطورية بعد انقلاب الامبراطور إسكندر سيفيروس مارس 235م [2]، اضطهد المسيحيين واصدر امرا بقتلهم.

بيوس(249- 254م): تميز عهده بالفوضى وعدم الاستقرار داخل الإمبراطورية، فاتخذ بعض الاجراءات للحد من تلك الاوضاع فاصدر مرسوما في جوان 250م[3]، ينص على ان يقدم كل السكان الاحرار القرابين لآلهة الامبراطور وبعد تقديمها تعطى لكل شخص شهادة تثبت وثنيته، وقد كان هذا الاجراءات بمثابة دليل على اتباعه لديانة السلطة،وقد قام بتحديد فترة معينة لتقديمها واعتبر من لم يقدمها بعد انقضاء الفترة المحددة مسحيا.

---

* – **تراجانوس** :امبراطور روماني ولد سنة 52م باسبانيا ، اشتغل بالجيش في سنة 96م اصبح حاكما على جرمانيا ، وقد تبناه الامبراطور الروماني نيرفا سنة 97م، واصبح شريكا له برتبة قيصر ،خاض العدي من الحروب في الشرق ضد البارثيين و الرافديين ، وضطهد المسيحيين ، وتوفي سنة 117م، للمزيد ينظر : ربيع عوملي ، المسيحية في المغرب القديم ،مرجع سابق، ص 200.

[1]– ربيع عوملي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص—ص 281-291.

[2]– ابونار ليبر، تاريخ الكنيسة المشرقية ، ج1، ط1، المطبعة العصرية ، العراق ، 1973، ص 320.

[3]– ربيع عوملي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 292.

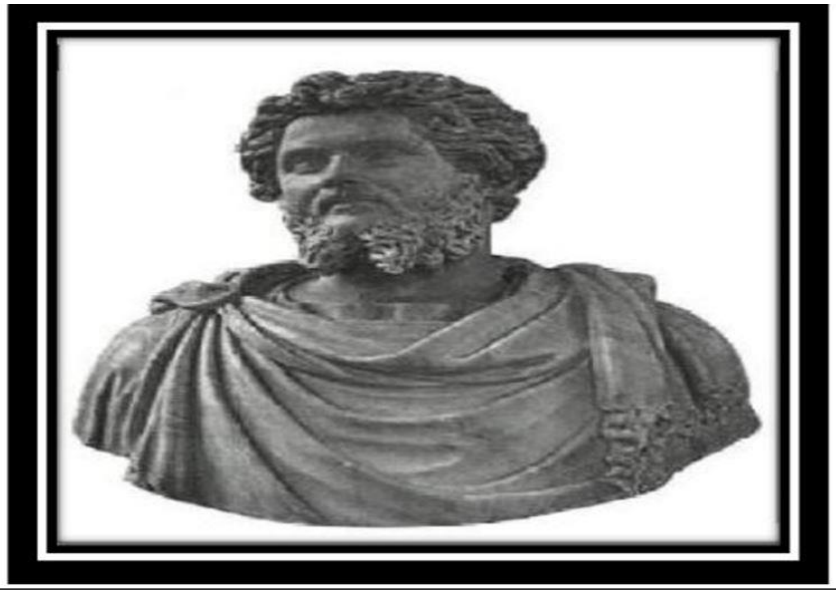

الصورة رقم (05):

الإمبراطور سبتيموس سيفيروس(193-211م)

نقلا عن : ربيع عولمي، المسيحية في المغرب القديم، ص265.

ومن يثبت انه معتنق للمسيحية يكون مخالفا لأوامر السلطة الرومانية ويعرض لأقصى انواع العقوبات تصل إلى حد الموت[1].

غالوس (251-253م):خلال فترة حكمه اذاق المسيحيين اشد انواع العذاب وواصل في عملية اضطهادهم مستخدما كل الاساليب الشنيعة[2].

فاليريانوس(253-260م): تولى العر ش الامبراطوري اظهر نوعا من التسامح بداية حكمه ثم لتغطية فشله في الحكم مع ظهور مشاكل اقتصادية و تهديدات خارجية، قام باصدار

[1]-ربيع العولمي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص 292.

[2]- المرجع نفسه ، ص 293.

مرسوم سنة 257م، يضطهد المسحيين، ومنع رجال الدين من العبادة،محاكمت الاساقفة[1]، ومع هذا التضييق اضطر الكثير منهم للارتداد عن هذا الدين الجديد شكليا للحفاظ على حياتهم .

غالينوس (260- 268م):في عهده خفت وطات الاضطهاد الذي مارسه الاباطرة على المسيحيين حيث اصدر مرسوم يقضي بالتسامح الديني[2]، كما اعترف بان الديانة المسيحية من الديانات المشروعة وامر بوقف إضطهاد هم[3].

وامر برد كل ما صودر منهم و اقر بحقوق الكنيسة المسيحية في حرية العبادة وإمتلاك اماكن التعبد، وفي نهاية فترة حكمه حدثت بعض الاضطهادات الخفيفة.

دقليانوس (284-305م): يعتبر من أبرز أباطرة الرومان نظرا لسلسلة الإصلاحات التي قام بها في أنحاء الامبراطورية[4]،ووزع السلطة على أربعة اشخاص ما يعرف بالسلطة الرباعية(**'Tetrarchie**) بسبب شساعة مساحة الامبراطورية فمن الصعب على حاكم واحد حمايتها.[5]، بعد التسامح الذي أظهره المسيحيين في بداية حكمه إنقلب و إذاقهم كل أنواع التعذيب لأنه كان يراهم يشكلون تهديدا على الأمن و سلامة الامبراطورية[6]، وأنهم جماعة هدامة مخربة للتراث الديني الروماني، لذا وجب تصفيتهم خاصة بعدما تسللوا إلى اجهزة الدولة الادارية العسكرية[7]، وفي(23 فيفري سنة 303م) أصدر قرار يقضي باضطهاد المسيحيين و تدمير كنائسهم .

---

[1]-أحمد علي عجيبه، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ،،ط1،دار الافق العربية ، القاهرة ، 2005 ،ص 77.

[2]- عبد الحميد رافت ، الاضطهاد الروماني للمسيحيين بين الإعتقاد الكنيسي و الفكر السياسي ، مجلة كلية الأدب ، ع3،جامعة الامارات العربية ، الامارات ،1987م، ص 17.

[3]- متولي يوسف شلبي ، اضواء على المسيحية،(د، ط)، الدار الكويتية للطباعة،(د، ب، ن)،1968م، ص27.

[4]-ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص294.

[5]- ويل دورانت ، المرجع السابق ،ج 3، ص 359.

[6]- حوري محمد محمود ، رؤية في سقوط الامبراطورية الرومانية ، ط1،دار المعارف ، مصر ، 1995م، ص 185.

[7]- سيد احمد علي ناصري ، التاريخ الامبراطورية الرومانية السياسية والحضارية ، دار النهضة المصرية ،القاهرة ،1975م ،ص 350.

وأصدر أوامر بحرق اناجيلهم و منعهم من القيام باي شعائر دينية مسيحية[1]، وفي نفس اليوم حدث حريق في القصر فوجهت الاتهامات إلى المسيحيين و القي القبض على الكثير منهم وسجنوا وعذبوا ومات الكثير منهم[2]،وفي فيفري 304م اصدر الامبراطور قاليانوس قرار يفرض على المسيحيين في كل انحاء الإمبراطورية تقديم الذبائح للإمبراطور[3]، وان اي رفض يعرض صاحبه للأعمال الشاقة او الاعدام، وقد طبق هذا القرار في جميع نواحي الامبراطورية الا ان تطبيقه في بلاد المغرب كان اشد قسوة[4].

و في عهد الامبراطور قسطنطين تأكد له بأن عنادهم ليس له نهاية ووجد نفسه مجبرا على الرضوخ لهم، فسلطته على إفريقيا التي كانت تشكل ثلث الإمبراطورية أصبحت على المحك[5].

في نفس السنة (321م) أقرت الحكومة بالهزيمة، ومنحت الحرية للدوناتيين ألغى الإمبراطور كل الأحكام الصادرة ضدهم، وسمح لمنفييهم بالعودة، وأرسل كتابا إلى حاكم إفريقيا جاء فيه بأن الله وحده من يحاسب الناس على عقيدتهم دعوهم وشأنهم فليعبدوا الله كيفما شاءوا، وحث الإمبراطور رجال الدين الكاثوليك بالتحلي بالصبر والتعايش مع دوناتوس ورجاله.

أصبحت للدوناتيين الحرية التامة في الاعتقاد والتصرف حسب قناعتهم مقابل أن يكفوا على التعرض للكاثوليكي والروماني، فرجع أساقفتهم لكنائسهم وسمح لهم بالاجتماع والوعظ والتدريس، ومارسوا حريتهم الدينية والاجتماعية وحصلوا على تسامح كبير من الإمبراطور وظهر ذلك حين هاجم الدوناتيون بعد هذا القرار بالعفو كنيسة للكاثوليك في(سيرتا) قسنطينة حاليا وأجبروهم على مغادرتها وقاموا بتحويلها إلى كنيسة دوناتية، وبعد ما بلغت شكوى أولئك الكاثوليك إلى

---

[1]– ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب ، المرجع السابق ، ص299.

[2]– سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، 352.

[3]– ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب، مرجع سابق ، ص299.

[4]– مها عيساوي ، المرجع السابق ،ص 455.

[5]– لقد اضطر الإمبراطور للخضوع لرغبات دوناتوس أتباعه في الانقسام عن الكنيسة الكاثوليكية لأنه في هذه الفترة كان شريكه في الحكم الإمبراطور ليسينوس(Licinius) قد امر باضطهاد المسيحيين في المشرق .وقد خشي القسطنطين على مستقبل إفريقيا التي كانت مصدر روما الاول من الزيت و الحبوب ،للمزيد حول هذه النقطة،ينظر: جون لويس ماير، ملف الدوناتية، ج1"،(د،د،ن)،(د،ب،ن)،1987م،ص526.

الإمبراطور، تسامح مع الفاعلين وأمر ببناء كنيسة أخرى للكاثوليك على نفقته الخاصة، وأمر بعدم مطالبة الدوناتيين بأي تعويض[1]، فانتشر الفكر الدوناتي،الذي لم يكن فيه من السهل فصل الدين عن السياسة، فقد اعتنق فكره أغلبية الأساقفة حتى من الرومان، وبفضل شجاعتهم وتضحياتهم وعدم خضوعهم للقانون، وبفضل قيادة دوناتوس لهم أصبحت كنيستهم وهي الكنيسة الوحيدة في شمال إفريقيا ، واستمرت هذه الحرية للدوناتيين بالاعتقاد والتصرف من (321 م إلى 337 م)[2].

-الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية في المغرب القديم قبيل ظهور حركة الدوارين:

لقد كرّس القانون الروماني للطبقية، فقد اعتبر السكان المتواجدين ضمن الخريطة السياسية الإمبراطورية فئات وطبقات متفاوتة الحقوق والواجبات ومن هذه الأصناف نذكر:

المواطنين الرومان وهم الذين تمتعوا بالمواطنة الرومانية سواءً عن طريق النسب أو عن طريق الترفيعات التي كان يمنحها الأباطرة الرومان للأفراد والجماعات الأجانب الأحرار، وصنف المواطنين هو بدوره كان يضم عدّة طبقات انقسمت إلى الطبقة البرجوازية الحضرية، وطبقة العوام المقيمين، وكان الفرق بين الطبقتين جلّيا في التقدير والوظائف و الإمتيازات وكذلك الاختلاف في العقوبات، وقد مثلت فئة المواطنين سكان المدن، أمّا سكان الأرياف فقد تمثلوا في ثلاث فئات هي فئة الملاك وفئة مسيري الأعمال بضيّع الإمبراطور وفئة المزارعين، وكانت ضواحي المدن تضمّ عددا كبيرا من الفلاحين والملاك الصغار، حيث كانت ضواحي المدنة الخصبة ذات كثافة سكانية عالية، وقد انقسم المزارعون إلى مزارعين دائمين ومزارعين أجراء موسميين، وقد أجبرت حركة الإستيطان هذا الصنف الأخير إل انتهاج أسلوب التحرك، وقد كانت معيشة هذا الصنف بسيطة متواضعة، أكواخهم حقيرة

[1] – Joseph Terrey. (1874). General history of the christian religion and church, 13th edition, Volume II. Houghton, Mifflin and Co. Boston. Page: 226-232

[2] – محمّد دومير عماد سعودي ، دوناتوس الثائر النوميدي الذي انهى وجود الكاثوليكية في افريقيا (د،د،ن)،(د،ب،ن)،(د،س،ن)،ص34.

وألبستهم من جلود الحيوانات وغذاؤهم رديء، فليس لهم أيّ حقوق عند الرومان فلا يعترف القانون الروماني بالشخصية القانونية لهم، فكان القانون ينعتهم الأجانب، وقد كانت فئة المزارعين أكثر الفئات عددا في إفريقيا الرومانية، وإلى جانب الفئات السابقة فقد وُجدت فئة العبيد التي انقسمت إلى عبيد الأرض وهم المغاربة وعبيد المنازل والحواضر وهم من أمّم أخرى كالإغريق[1].

وقد جعل نظام استغلال الأراضي من المزارعين قاعدة المجتمع الزراعي، فقد حدد قانون مانكيانا* وضعيّتهم ومنحهم حقوقا وألزمهم بواجباتٍ، فكان على المزارعين أن يدفعوا إلى المسيّر أو صاحب العقار أقساطا من المحصول الفلاحي وأن يعملوا لعدد من الأيام في الجزء المخصص من الضيعة قسريا بالسخرة، وإلى جانب ذلك منحهم الحق في التمتع بالملكية وكان هذا سببا في الوجود الملكيات الصغيرة للفلاحين الصغار، وقد أصدر الإمبراطور "هاريانوس" قانون يحمل اسمه وينص هذا القانون على تقديم امتيازات للمزارعين الذين يرغبون في استغلال المناطق التي لم يشملها المسح بسبب عدم ملاءمة أرضها للزراعة كالسهوب والمستنقعات والأدغال، أو الأراضي التي استنزفت، أو الأراضي المهملة لقلة خصوبتها، وكان باستطاعة هؤلاء المزارعين زرع هذه الأراضي كروما أو زيتونا، ويمنحهم هذا القانون حق التمتع بها وإمكانية توريثها أو بيعها ويعفيهم من الضرائب[2]،ومع بداية القرن الرابع ميلادي تدهورت وساءت أوضاع المزارعين في المغرب القديم حالهم حال كلّ المزارعين في الإمبراطورية الرومانية وتحولت القوانين السالفة من إمتيازات إلى قيود ربطت المزارعين بالأرض وقيّدت حريتهم فأصبحوا كالعبيد وإن كان لهم بعض الحرية في التنقل[3]،فقد كان سكان المغرب عند ظهور المسيحية

---

[1]- محمّد البشير شنيتي، نظرة على الوضع الديمغرافي والإجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، بحث قدّم في المؤتمر الثاني لحضارة وتاريخ المغرب، وهران، نوفمبر 1982، ص19،20.

*-مانكيانا: من أقدم الوثائق المتعلقة بالتشريعات الزراعية في إفريقيا عُرف باسم صاحبه(**Mancia**) الذي كان موظفا للإمبراطور، وهو قانون يمنح حق الإنتفاع والملكية للذين يستصلحون البراري والأراضي القاحلة والمهملة.

[2]-العولمي ربيع، المسيحية في بلاد المغرب القديم ودورها في أحداث القرنين الرابع والخامس الميلاديين، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة باتنة1،2016،ص369-370.

[3]-المرجع نفسه،ص371.

يعيشون أوضاعا مزرية بسبب السياسة التي نتهجتها السلطات الرومانية القائمة على الإستغلال الطبقي[1]، فقد قامت القوانين الرومانية المتعلقة بالوضعية الإجتماعية لسكان الولايات على مبدأ الطبقية و وِفق أساسٍ عنصري جاعلة الأجناس الغير رومانية دون أهمية أو اعتبارٍ، وقد أدت السياسة الرومانية الطبقية إلى بروز تضامن وتقارب بين الفئات العاملة بمختلف أصنافها وذلك لإحساسها بالتساوي من حيث الشقاء، كما غرست في نفوسهم الكراهية اتجاه مستغليهم، ولعلّ ثورة القرن الرابع التي نعتت بثورة الدوارين قد كانت حربا على الطبقية اجتماعية

في مظهرها سياسية في جوهرها وقد عبّرت عن التضامن الطبقي بين مختلف ضحايا السياسة الرومانية والرفض للأوضاع الاجتماعية القائمة[2].

– ونستنتج مما سبق أن الأوضاع في المغرب القديم قبيل ظهور حركة الدوارين شهدت عدة تغيرات وتحولات في الجوانب الاجتماعية الاقتصادية والدينية السياسية، فالجانب الاجتماعي شهد طبقية وتفاوت بين الحاكم والمحكوم و ملاك الارضي و الاسياد مما ولد كره الطبقة الضعيفة للأغنياء و الحكام المتسلطين حيث ان الجانب الاقتصاد حصر الثروة في فئة معينة دون الاخرى نتيجة لمراسيم المتبعة و حكم امبراطوري فرض عدة قوانين تعسفية على سكان المغرب القديم، وكان لابد من خلاص للمضطهدين الذين كانوا يبحثون عن سند يحميهم من تعسف الحكام الرومان، وبظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم بتعاليمها الصحيحة اصبحت بمثابة طوق النجات من حكم أجنبي أتى لنهب الثروات دون مراعات حالة السكان واصحاب الارض الاصليين، وكانت المسيحة لها مذاهب انتشرت و اخذت رواجا في عدة مناطق ولكل منها مبادىء واسس تقوم عليها الا ان السلطة الرومانية اصدرت قوانين ومراسيم تعسفية في حق من يعتنق المسيحية وارغام اتباعها بدفع

---

[1]-أويحي سعيدة، الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم من نهاية القرن الثاني ميلادي إلى بداية القرن الخامس ميلادي(180-411م) أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة أبو قاسم سعد الله الجزائر (2016-2017)، ص128.

[2]-مُحَّد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص 23.

ضرائب و ووصلت هذه الاجراءات إلى التعذيب و القتل في بعض الاحيان وقد سمت هذه المرحلة بمرحلة الاضطهاد، ولكن بعد فترة من الزمن و بقدوم الامبراطور قسطنطين، لم يجد حلا الا ان يعترف بالديانة المسيحة لكسب ود معتنقيها و اتباعها، خدمة لمصالح الامبراطورية الرومانية، ولكن ميوله للكنيسة الكاثوليكة دون الدوناتية نتج عنه تصادم بين الكاثوليك والدوناتيين، فأيد الأولى على نظيرتها، واصبحت السلطة الرومانية على خلاف مع الكنيسة الدوناتية وهنا تبرز حركة تعتبر الجناح الثائر للدوناتية، حيث كان تلاحم بين الدوارين والحركة الدوناتية نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد المغاربية وجدت الدوناتية في ثورة الريفيين دعمًا وسندا للوقوف في وجه خصومهم المتمثل في الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية، حيث اعتبرت حركة الثوار الريفيين جناحًا مسلحًا للحركة الدوناتية،كانت تسعى،لإزالة الفوارق الاقتصادية والاجتماعية وتحقيق العدل والمساواة المستمدة من التعاليم المسيحية، وكانت تعتبر كل من هو ضد الكنيسة الكاثوليكية والسلطة حليفا لها.

وفي هذا السياق نطرح السؤال عن ماهية حركة الدواريين؟

الفصل الأول(حركة الدوارين)

-ماهية حركة الدوارين:

-نشأة حركة الدوارين:

-سمات وخصائص الدوارين

بعد ظهور الصراع الدوناتي الكاثوليكي و احتدامه برزت مجموعة من الناس عرف أصحابها باسم الدوارين، حيث كانوا يشكلون رؤوس الدوناتية ضد الكنيسة الكاثوليكية ، وبذلك أصبح جزءا هاما من الجدل القائم بين الدوناتيين والكاثوليك يدور حول العنف بين الطرفين، فالكاثوليك يرون في عمل الدوارين اضطهادا لكنيستهم، والدوناتيون يرون في تدخل السلطة الرومانية إلى جانب خصومهم اضطهادا لجماعتهم، وانطلاقا من هذا التباين سنعالج ماهية الدوارين وعلاقتها مع الدوناتية وكذا أسباب ونتائج هذه الثورة الريفية.

-مفهوم الدوارين الدوارين :

ان حركة الدوارين كانت نتيجة لظروف اجتماعية ودينية ،حيث انتشرت هذه الحركة في الشمال الإفريقي خاصة في نوميديا، وقد لاقت الدعم من الفلاحين و البسطاء، ولكن معظم الباحثين قد اختلفت آرائهم حول تسمية الدوارين بتلك التسمية و لازالت محل بحث و دراسة وتساؤلات كثيرة وهذا ما سنتطرق له فيما يلي:

أ-المفهوم اللغوي : لدينا اشكال يطرح في تحديد معنى كلمة الدوارين او "السيركونسيليون" (Cironsellions)، والذي أُطلق عليهم من قبل الذين عاشوا في عصرهم والمولين للسلطة[1].

– فالمصطلح اللاتيني يتركب من جزئيين (Cella-Cirum) ، فالجزء الاول يعني" يحول "، أما الجزء الثاني :"كيلا" (Cella) فمعناه أما "هري" مفردة، وجمعها "أهراء" أو مخازن المؤن وهذا المفهوم اللغوي ظل متداولا حتى لوقتنا المعاصر في قواميس و المعاجم اللاتينية.

[1]–مُحَّد العربي عقون ،المرجع السابق، ص 291

ب- اصطلاحا:

إنّ معظم المؤرخين المحدثين يعرفون " الدوارين " بأنهم أولئك الذين يدورون ويحومون حول الأهراء ، أمّا في المصادر الكاثوليكية فقد جاء تعريف أغسطين* للدوارين بقوله:

(كانوا يسمون بالدورين لدوارنهم حول الأهراء) ، او انهم اولئك الذين يحومون حول الاهراء الريفية (Cellas ruticamams) بحثا عن القوت و الغذاء، ومن ثم جاءت تسميتهم بالدوارين[1]، ومن خلال ما سبق فإن هذه المدلولات الاسمية للثورة الريفية شهدت تطور وارتباط بالظرف الذي وجدت فيه كما نلمس ايضا وصفين مختلفين الاول من جهة الكاثوليك الذين كان هدفهم تصوير هذه الثورة على انها غير اخلاقية وغير انسانية حيث تسعى لترويع الناس وتخويفهم و سلب ممتلكاتهم[2].

إنّ أغسطين في تعريفه اكتفى بالإشارة الى الإشتقاق اللغوي، وترك المجال مفتوحا لعدة تساؤلات وتأويلا، ولكن في مطلع الخمسينات برز تفسيرين جديدين لمعنى "Cella"، قد افترض الانجليزي "فراند"(Frend) ان كلمة "كيلاس روستيكاناس "(Cellas rusticanas) التي وردت في نص أوغسطين لا تعني الأهراء الريفية وإنما معناها أضرحة الشهداء الريفية" التي كانت متناثرة في الأرياف النوميدية و الموريطانية ، وذلك ان الدوارين كانوا يشكلون فرقة من الدوناتيين يرتادون تلك "الاضرحة

---

*- أوريليوس أوغيستينيوس(354م-430م)، ولد بـ"تاغست" وهي سوق الأهراس حاليا مدينة الشمال الشرقي للجزائر، وهو فيلسوف ورجل دين مسيحي، ويعتبر من أشهر الفلاسفة المؤثرين في تاريخ الفكر الإنساني والفكر السياسي المسيحي الكاثوليكي فهو منظر التاريخ المسيحي ومؤسس الكنيسة اللاتينية من أهم مؤلفاته"مدينة الله" و"الإعترافات"، انظر إلياس بن عبد الله دكار،أوغسطين تاغست": الفيلسوف اللاهوتي صاحب التأثير العالمي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، المجلد5،العدد9،سنة2020م،ص33-51.

[1]-ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم ، مرجع سابق ، ص- ص 502-503.

[2]- المرجع نفسه،ص 503.

الريفية" تبركا برفات الشهداء من جهة، والبحث عن قوتهم فيها من جهة ثانية إذ أن هذه الأضرحة كانت تتوفر في الغالب على المخازن للمؤن ومستودعات غذائية كشف علم الآثار على بقاياها.

أما التفسير الثاني فقد افترضه الباحث الايطالي كالدرون **(Calderone)** سنة **1967**م، واعتبر أن الدوارين كانوا نوعا من النساك أو الرهبان الذين يتجولون بين الأديرة، ومن هذا المنطلق فإن المقصود بـ: **"**Cella**"**هو "بيت الراهب، يتضح من خلال المدلولات الاسمية السابقة التي أطلقت على الدوارين وصفين مختلفين المدلول الأول الذي درج أصحاب الجدل الكاثوليك على إطلاقه بهدف تشويه هذه الحركة ووصفها بأنها غير أخلاقية تمارس السلب والنهب وتسعى إلى ترويع الناس، وفي نفس الوقت نلمس إقرارا ضمنيا من طرف هؤلاء المجادلين بقوة الحركة وانتشارها من خلال الاعتراف بوجود الدوارين في كل مكان وكل مدينة من المدن النوميدية والموريطانية[1].

الدوارون في الكتابات الكاثوليكية:

إنّ الكتابات والآراء الكاثوليكية حول الدوارين ترتكز بالأساس على نصوص وكتابات رجال الدين الكاثوليك الذين عاصروا الدوارين" أوبطا الميلي*" و"القديس أغسطين" وقد اعتبر هؤلاء الكتاب الكاثوليك حركة الدوارين جزءًا لا يتجزأ من الإنشقاق الدوناتي، وأنّ الدوارين كانوا يمثلون الجناح العسكري للدوناتية، ورؤوس رماحها ضدّ الكنيسة الكاثوليكية ولذلك فإنّ كتاباتهم ضدّ الدوارين هي امتداد لحربهم الكلامية على الدوناتية، وقد استعمل الكتاب الكاثوليك لهجة تنمّ عن احتقارٍ وازدراءٍ، فعمدوا إلى تشويه صورتهم وقذفهم بأسوء الصفات[2]، لقد شنّ القساوسة الكاثوليك حربا كلامية على حركة الدوارين والكنيسة الدوناتية التي كانوا يتبعون إليها، وتمثلت أهم الكتابات

---

[1]- ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ،المرجع السابق ، ص504 .

* أوبطا الميلي أو أوبطاتوس(حوالي 320-392م)، ولد في إفريقيا كان أسقف لمدينة ميلاف النوميدية(ميلة حاليا)، دخل في مساجلة مع الدوناتيين وكتب مؤلفا ضدّ الإنشقاق الدوناتي يرجع إلى أواخر سنة 366م، انظر مُحَمَّد المبكر ص37.

[2]-ربيع العولمي، حركة الدوارين (الريفيين الأوراسيين) في نوميديا أو محاولة ثورة إجتماعية في شمال إفريقيا(320-411م)، دورية كان التاريخية، العدد17، سبتمبر 2024، ص33-47.

الكاثوليكية ضدّ الدوارين في كتابات"أوبطا الميلي" والقديس أغسطين فقد وصف أوبطا الميلي الدوارين بأنّهم جماعات من الرجال يتنقلون عبر البلاد ويزرعون الخوف والذعر في النفوس، وقاعدتهم مدينة تيموقادي ومنها ينطلقون ليلا للنهب والسرقة في أرجاء البلاد[1]، وقد كتب أوبطا الميلي في هذا الصدد06 كتب دفاعا عن الكنيسة الكاثوليكية وردّا على الدوناتية والدوارين، ويرى أوبطا الميلي أيضا "،أنّ الدوارين هم مجموعة من الناقمين على الأوضاع من مختلف الأصول ومن كلّ المقاطعات وهم من الأهالي الذين لا يتكلمون بغير البونية، وتشكلوا من العبيد الفارين ومن المفلسين ومن الكاثوليك المحرومين ومن ذوي السوابق العدلية، دون الحديث عن السذج المتعصبين"، وهو بهذا يريد إثبات أنّ التركيبة البشرية للدوارين هي تركيبة حقيرة تتكون من حثالة المجتمع النوميدي، ولا يعدو هذا الإدعاء أن يكون دعايةً رسمية[2].

فقد حاول كلّ من أوبطا الميلي والقديس أوغسطين على وجه الخصوص تصوير ثورة الدوارين وحركتهم على أنّها حركة يقودها مجرمون لا يتحلون بالإنسانية والشفقة يعملون على قتل الضحايا والتنكيل بهم، وأنّ تشكيلتها من الصعاليك المجرمين، فيرى أوغسطين بأنّ الدوارين أتباعٌ للدوناتية ويصفهم بالهمجية ويقول"تطير أسرابهم يمينا وشمالا عل شكل عصاباتٍ من المجانين المسلحين بالسيوف والعصي، يقومون بالعديد من المذابح، ولا يكتفون بالهجوم على غيرهم بل يلقون أنفسهم من أعلى الجرف[3].

[1]-عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص245.

[2]- عمران عبد الحميد، ثورة الدوارين الريفية وارتباطها بالحركة الدينية الدوناتية(347-411م) مجلة الدراسات التاريخية والإجتماعية، جامعة نواكشوط، موريتانيا ص82.

[3]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص248.

وقد عاش أغسطين جزءا مهما من تاريخ الحركة وخصص كتاباته للتنديد بالدوارين ومهاجمتهم فإنّه من الضروري الرجوع لكتابات أوغسطين على الخصوص فالكتابات الكاثوليكية التي تناولت الدوارين ترتكز بالأساس على كتاباته وسابقه القديس أوبطا الميلي[1].

فتشير الكتابات الكاثوليكية ونصوص أغسطين أنّه تحامل بشكل كبير على الدوارين حتى وصل به الأمر لاعتبارهم كائنات غير بشرية مسقطا عليهم صفة الآدمية فيقول" تلك المخلوقات الفظة والمجنونة التي لا تفهم ولا تحتمل ما ننصحها به سبيل خلاصها، والتي تمارس ضدّنا أعمال عنف مسعور لا تكتفي كلماتي لتعدادها والتذكير بها وعرضها عرضا مناسبا".

وممّا يلفت إنتباهنا في كتابات أغسطين هو وصفه لهم بالحوامين حول الأهراء (Cellas rusticanas)، فيتحدث عنهم في حوالي 420م قائلا:"إنّني أتحدث عن وقائع يعرفها المعاصرون حق المعرفة، فمن منا لا يعرف ذلكة النوع من الناس الذين لايكفون عن ارتكاب الجرائم الشنيعة ويستنكفون عن الأعمال النافعة، شديدي القسوة في قتل الآخرين وبالغي الدناءة في قتل أنفسهم، يرهبون البوادي خاصة، لكن لا يشاركون في الأعمال الفلاحية، يحومون حول الأهراء الريفية، بحثا عن القوت، ومن ثم جاءت تسميتهم بالدوارين ومن منا لا يعرف أنّهم يمثلون في العالم أجمعه وصمة عار في جبين الإنشقاق الإفريقي"، بهذا النص نستخلص نظرة أغسطين والكاثوليك للدوارين وأهم سماتهم وصفاتهم والمتمثلة في اغتيال الكاثوليك والإنتحار الإرادي وتبعيتهم للدوناتية[2].

وقد تحدث أغسطين عن جرائم الدوارين وعدّدها كالتالي:"... تلك القسوة التي تُخترعُ ضدّنا ألوانا من الاغتيال والنهب والحريق وإلهاب العيون.."، وقد كانت كتابات أغسطين توحي بأنّ الدوارين يتعاطون أعمال النهب، إلّا أنّ كلّ نصوص أغسطين التي تقدح في الدوارين وتتهمهم بالنهب كتبت في نطاق جدل ومساجلة بين الكاثوليكية والدوناتية التي ينتسب إليها الدوارين، فحين

[1]- الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 504.

[2]-المرجع نفسه، ص513-514.

يتحدث أغسطين عن مهاجمة الدوارين للكنائس والممتلكات الكاثوليكية ويوعز ذلك لهدف النهب نجد أنّ الهدف حسب النصوص نفسها ليس النهب والسلب وإنّما يدخل في نطاق الصراع المذهبي بين الكاثوليكية والدوناتيين[1].

مفهوم الدوارين في الكتابات الحديثة:

إنّ طبيعة حركة الدوارين ونشاطها جعل آراء الباحثين مختلفة حولها، فنجد الكتابات التي تناولت الدوارين قد طُرحت فيها آراءٌ مختلفة ولا يشمل هذا المصادر الكاثوليكية فقط بل يتعد إلى الكتابات المعاصرة، فقد تناول الكُتّاب المعاصرين حركة الدوارين في كتاباتهم وقدّموا عدّة فرضيات وأطروحات حولهم، اختلفت هذه الفرضيات باختلاف الكُتاب الذين تناولوا حركة الدوارين، نذكر"شارل صوماني"(Ch saumagnee) ، و بورنو بوتي(Burno Potier)، و"سيرج لونسيل"(Serge lancel)، و"بول ألبرت فيفري"(Paul Albert Fevrier)، "وبول مونصو" (Paul Monceaux)، و"كالدرون"(S.Calderone)[2].

فيرى"مونصو" أنّ الدوارين" كانوا مغامرين رُحل لا بيت لهم ولا مقر يعيشون من التلصص، ويحبون الطواف حول الضيعات ومخازن المؤن، وكانوا يطلقون على أنفسهم اسم" المصارعين" أو "جنود المسيح"، ويدّعون أنّهم يدافعون عن الكنيسة الحقة كنيسة دوناتوس والمسيح، ضدّ الشيطان أي ضدّ الكاثوليك، وكانت عصابتهم تتشكل من رعاع الشعب وأوباشه ومن المستائين من مختلف الأجناس والجهات، فكان من بينهم الأهالي الذين لا يتكلمون سوى اللغة البونية، والعبيد الآبقون، والمزارعون المفلسون، والكاثوليك المفصلون عن المجتمع، والمفلسون، والمجرمون ذوي السوابق، فضلا عن السذج المتعصبين، وكان زعماؤهم إمّا من الأهالي أو الكهنة الدوناتيين[3].

---

[1]-مُحَمَّد المبكر، المرجع السابق، ص98.

[2]-ربيع العوملي، المرجع السابق، ص517.

[3]-المرجع نفسه، ص 517.

فلم يخرج"مونصو" عن إيطار الرواية الكاثوليكية، فلقد صوّرهم في كتاباته كما صوّرهم أغسطين وأوبطا الميلي، فهو يرى أنّهم مجرد عصابات متمردة تطوف حول المزارع ومخازن الحبوب وتمارس عمليات النهب والسلب والحرق[1].

فيؤكد النص أنّ"مونصو" حذا حذو المصادر الكاثوليكية وتبن وجهة نظر خصوم الدوارين والكنيسة الدوناتية، وهذا الرأي لمونصو مرّده إلى احتكاكه المباشر بالمصادر الكاثوليكية وعمله الموسوعي الموسوم بـ" التاريخ الأدبي لإفريقيا المسيحية*"[2].

وقد اعتبر "صوماني" أيضا أنّ الدوارين مجرد رحل لايملكون الأراضي فهم عمال فلاحيون ينتقلون من قرية إلى أخرى بحثا عن العمل والقوت خلال مواسم جني الزيتون وقطف العنب والحصاد، وتصف "فانيي"(Vannier)، الدوارين بجماعات المساكين المتسولين، في حين يرى الإيطالي"كالدرون" أنّ الدوارين كانوا رهبانا ويرفض بشكل تام اعتبار الدوارين فلاحين.[3]

وقد تناول الباحث" مُحَمَّد المبكر" أطروحة كالدورن التي اعتبر فيها الدوارين نساكا ورهبانا كانوا يتجولون بين الأديّرة وأنّ المقصود بكلمة(Cella)، هي بيت الراهب[4]، ولتبرير أطروحته قد ذكر "كالدرون" نصّا ينسب لـ"إيزدور الإشبيلي" يشير فيه إلى"أنّ الدوارين كانوا على صفة الرهبان يتجولون في كلّ مكان، متنقلين عبر الأقاليم، لم يبعث بهم إلى أيّ مكان، ولم يستقروا في مكان واحد، بل كانوا دائمي التنقل". وعند ذكر آراء هؤلاء الكتاب جول الدوارين وأحكامهم حولهم لابد من الوقوف عن قانون هنوريوس412م الذي نظر إليهم كفئة إجتماعية متجانسة نوعا ما، وقد جاء هذا القانون

[1]-عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص245.

*

[2]-ربيع العولمي، المرجع السابق، ص 518.

[3]-ربيع العولمي، المرجع السابق، ص523.

[4]-عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 240.

لتحريم الدوناتية وفرض غرامات على الفئات التي تتبع للدوناتية، فقد فرض هذا القانون غرامة 10 أرطال من الفضة ضدّ الدوارين ناظرا إليهم كرجال أحرار يملكون وسائل وسائل العيش الكافية لأداء الغرامات، فقد صنّف هذا القانون الدوارين قي مرتبة إجتماعية أعلى من المزارعين والعبيد الذين سلّطت عليهم عقوبات بدنية، فلم ينظر هذا النص الصادر عن البلاط الإمبراطوري للدوارين على أنّهم مجرد مجرمين ومتسولين وحثالة، ولابد من الإشارة أنّ القاضي الذي أصدر هذا الحكم كان له دراية بالواقع الإفريقي، ولو أنّه رأى أنّ الدوارين مجرد لصوص لأبلغ السلطة المركزية بذلك، ويرى"بيرصون" أنّ إخطاء المشرع في حكم الدوارين أمر غير مقبول ومجانب للصواب، أمّا قول "صوماني" أنّ المشرع الروماني قد اعترف بالوجود الشرعي لعصابات الدوارين الخارجة عن القانون فقط لوجودهم الحسي والملموس أمر غير معقول[1].

وهكذا نرى أنّ آراء الباحثين المحدثين المهتمين بحركة الدوارين اختلفت و تعددت كتاباتهم إلاّ أنّه يمكن تقسيمها إلى تيارين، تيار يرى أنّ حركة الدوارين حركة إجتماعية ثورية ذات نشاط إقتصادي، وتيار ثاني يرى أنّ حركة الدوارين حركة دينية في الأساس فالدوارون هم نوع من الرهبان[2].

الدوارون كما عرفوا أنفسهم:

على خلاف التسميات التي أطلقها عليهم خصومهم والتي كانت بداعي التجريم والتحقير والإزدراء فإنّ الدوارين أطلقوا على أنفسهم اسم " المصارعين"(Agoisticu) أو جنود المسيح(Milites Christi)، وكلا الاسمين مشتق من صفة وربّما رمزوا بالاسم الأوّل إلى القوة الجسمية والفعالية في القتال ودلّ الاسم الثاني على الإيطار الديني الذي كانوا يعملون ضمنه،[3]وقد

---

[1]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص88،89، 100.

[2]-ربيع العولمي، المرجع السابق، ص522.

[3]- محمّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984،ص302.

اعتبر الدوناتيون أيضا تسمية الدوارين نعتا محقرا، ولذلك أطلقوا عليهم اسم "المناضلين" وقد اختلف الباحثون حول هذا اللقب، فاعتقدت فانيي(O Vannier) أنّ أسقف بغاي الدوناتي منح الدوارين لقب المناضلين تشريفا لهم واعترافا لهم بالجميل بعد أن هاجموا القوة العسكرية المرافقة للبعثة الإمبراطورية، ويرى بيرصون(P Birsson)، أنّ هذا اللقب قد أطلق تلقائيا على أولئك العمال الفلاحين(الدوارين) الذين اتخذوا مبادرة الثورة للدفاع عن رفاقهم منذ ماقبل 347م فكان يقال آنذاك" الدوارون المناضلون" تماما كما نقول اليوم العمال المناضلون[1].

خريطة المجال الجغرافي لحركة الدوارين في القرنين الرابع والخامس ميلادي

المصدر: عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية النشأة والتطور(180–430م)، المرجع السابق،ص254.

[1]–مُحَمَّد المبكر، المرجع السابق، ص147.

يبدو أنّ قلّة المعلومات حول الدوارين بسبب ندرة المصادر التي تناولت ثورة الدوارين أدّت إلى تعدد الدراسات حول هذا الموضوع وهذا قد أفضى إلى اختلافٍ في الآراء بين المؤرخين والباحثين خاصة فيما يتعلق بتحديد هوية الثوار وماهيتهم، ونجد أنّ أغلب الدراسات والأبحاث الحديثة التي أجريت حول مواضيع لها علاقة بثورة الدوارين اعتمدت اعتمادا كبيرا وأساسيا على المصادر الكاثوليكية وهذا لكونها المرجع الوحيد الذي يستمد منه الباحثون المعلومات المتعقلة بهذا الموضوع.

ويمكننا القول أنّه لولا كتابات كلّ من القديس أغسطين وأوبطا الميلي، الذين خصصا كثيرا من كتاباتهم لتناول حركة الدوارين وسلطا الضوء على الأحداث التي ارتبطت بهم لما عرفنا الدوارين في الكتابات التارخية وما سمعنا عنهم شيئا.

نشأة حركة الدوارين:

1- أسباب ظهور الحركة الدورانية:

أ- العامل الديني:

هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور حركة الدوارين نذكر منها العامل الديني، الذي يعد عامل مهم وله الأثر البالغ، و وقد اعتنقت شريحة كبيرة من سكان بلاد المغرب القديم من الفقراء و المعوزين والبربر للديانة المسيحية، الذين وجدوا في هذه الأخيرة ملاذا لهم من اضطهاد الروماني وتعسفهم،باعتباره دينا يدعوا إلى المساوات والكرامة الإنسانية والعدل والإنصاف ونبذ كل انواع الظلم والاستغلال مع الدعوة إلى الاخوة والمحبة[1].

وقد كانت حالة السكان شمال إفريقيا كانت تسوء شيئا فشيئا إلى أن بلغت شدة بؤسها ووصلت بهم إلى درجة التقهقر، وتعذرت عليهم الاسباب المعيشية،نظرا لشدة الإضطهاد على يد الرومان وسوء معاملتهم، وهذا ما يعلل موقف سكان المنطقة من هذا الدين الجديد وتخلصهم من

[1] -ربيع عولمي، المرجع السابق، ص 505.

الديانة الوثنية لأنهم كانوا يأملون أملا قويا في التخلص من الإحتلال الروماني بواسطة هذه الديانة الجديدة [1]، وهناك عدة نقاط لابد أن نتطرق إليها وهي كالاتي:

- الإنشقاق الدوناتي عن الكنيسة الكاثوليكية:

اعتبر الدوناتيون أن الكنيسة الكاثوليكة الرسمية التي تعاملت ورحبت برجال الدين الذين خانوا الإيمان في نظرهم بتسليم الكتب المقدسة و تقديم القرابين للآلهة الوثنية، جعلها تفقد نقاءها الروحي [2].

- السعي للنقاء الروحي و الاستشهاد:

كانو يمجدون الإستشهاد ويرونه خلاصا وطريقا إلى الجنة، ويشجعون على الموت في سبيل قضيتهم و سعيا إلى النقاء الديني [3].

– مرسوم ميلانو (313م):

الذي منع حرية العبادة ودعم الكنيسة الكاثوليكية ضد الدوناتيين حيث إنّهم رؤوا ان هذا التحالف يناقض الروح المسيحية الأصلية، مما عزز تمردهم ضد السلطة الرومانية و الكنيسة الرسمية [1].

---

[1]- جميل الحمداوي ، من ابطال المقاومة الامازيغية ، ثورة الدوارين ، من مجلة دنيا الوطن الحلقة العاشرة ، 18 اوت 2007، ص 1-4.

2- مُحَّد البشير شنيتي، التغيرات الاجتماعية و الإقتصادية ،المرجع السابق ،ص 300.

3- مُحَّد البشير شنيتي، قراءة في جذور التاريخ و شواد الحضارة، دار الهدى للطباعة والنشر ،عين مليلة ،2013، ص 227-228.

1- ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ،المرجع السابق، ص445.

ب- العامل الاقتصادي الاجتماعي:

و يظهر لنا أنّ الإستغلال الإقتصادي و الإجتماعي الذي عرفته منطقة بلاد المغرب القديم قبل الإستيطان الروماني أدى إلى ازدياد البؤس والشقاء في صفوف السكان والأهالي ولحقت أضرار كبيرة بهم، خاصة أنّ روما عملت على امتصاص الإنتاج الريفي[1].

فبعد سيطرتهم على المنطقة قاموا بتقديم الإمتيازات والمساعدات للمستوطنين الرومان، وطالبتهم بتوفير كل ما يستلزم من خيرات لتموين العاصمة، فلم يمر زمن طويل حتى أصبحت إفريقيا مطمورة روما(Ruman graniarum) [2] وهذا حسب التعبير اللاتيني، حيث كانت تموّنها بقدر وافر من المحاصيل الزراعية على اختلافها كالحبوب والخمور، الفواكه، الزيوت، الصوف، الخشب، المرمر إضافة إلى ذلك إفريقيا الشمالية تمد روما بالحيوانات كالخيل والبغال والوحوش الضارية التي كانت تحتاج إليها في تنظيم أعيادها و حفلاتها الكبرى، كما قامت بانتزاع الأراضي من الفلاحيين الذين أصبحوا فيما بعد عمالا في خدمة كبار الملاك الذين كانوا عمالا "موسميين يشتغلون في المزارع الكبرى **(Domaines)** خلال موسم الجني و الحصاد[3]، و هذا ما أدى إلى اتساع الفجوة بينهم وبين المترومنين حيث بقيت الطبقة الكادحة و المسحوقة من الفلاحين خارج الحضارة الرومانية[1]، فقد كان العبيد في الأرياف يتعرضون لمعاملة قاسية مما أدى بهم إلى الفرار والتحاقهم بالدوارين[2].

---

[1]– عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم ، النشأة والتطور (180–430م)، اطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم ، قسم التاريخ و الاثار ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2010–2011م، ص240.

[2]–مُحَمَّد محي الدين المشرفي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، طه، دار الكتب العربية، وجدة، 1949، ص– ص 88–91.

[3]–حمودي نبيلة " الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين 54 مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 16، ع 4 الجزائر، ديسمبر 2020، ص 42.

[1]–مُحَمَّد العربي عفون، الإقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،2008م، ص 291.

[2]– مُحَمَّد المبكر، شمال إفريقيا القديم حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية (305–429م)، المرجع السابق، 151.

أما بالنسبة للمزارعين فقد سبق الإشارة إلى الظروف الصعبة التي أصبحوا يعيشونها في القرن الرابع ميلادي بالإضافة إلى تعدد الإتاوات والضرائب والهدايا التي أجبروا على تقديمها إلى الملاك والدولة وأصبحوا مرتبطين بالأرض التي يحرثونها وفاقدين جزءا كبيرا من حريتهم، وبعد إقامة خط الليمس* الثاني استغل السكان المناطق المهجورة والضيّقة ليزداد الضغط الإجتماعي حدة وزادت معها الغارات على المناطق الخصبة إذ أنّ هذا لم يمنع غير المترومنين من مهاجمة ممتلكات المعمرين باستمرار[1].

وفي منتصف القرن الثالث ساءت الحالة الإجتماعية كثيرا، حيث وصلت إلى وضع من الإستياء العام لدى السكان المتضررين من الحالة الاقتصادية المزرية خصوصا في القرن الرابع ميلادي حيث أصبح ملاك أراضي يتحكمون في مصير العمال وسكان البلدة وحتى على أصحاب الحرف والتجار، في الوقت الذي كانت فيه البرجوازية الرومانية تزداد ثراءً وتتقاسم الثروة مع السلطة فكان هناك تفاقم في الضرائب المفروضة على المقاطعات المدن على استغلال الأراضي وظهر ظلم إجتماعي على أصحاب الأرض الذين يحتاجون اليد العاملة في موسم الحصاد[1].

ويظهر أنّ العمال كانوا من سكان المناطق الداخلية والجافة ذات الإنتاج القليل يقومون بالإنتقال إلى المناطق الخصبة بحثا عن العمل في سنوات الجفاف مما أدى إلى ازدياد المطالبين بالعمل، وبالتالي انخفاض الأجر واستغلالهم ويكتفون بالمحاصيل الثانوية نتيجة للضرائب المجحفة والباهظة مع

*-خط الليمس الثاني: هو خط حدودي يمثل المراحل الثلاثة للتوسع الروماني في منطقة المغرب القديم، والذي يمتد من شمال الأوراس وينطلق من تبسة مرورا بخنشلة **(Mascula)** ، و تازولت **(Lambasis)** إلى زاراي **(Zarae)** في نوميديا ومنها إلى (تاملولة) **(Thamlalla)**، وتقليت **(Tatlite)** ، وما ورائها ...،للمزيد ينظر: نبيلة حمودي مقاومة المور للإحتلال الوندالي، أطروحة دكتوراه في تخصص تاريخ الحضارات القديمة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر 2، 2019-2020، ص18-19.

[1]- عمران عبد الحميد، الديانة المسيحية في المغرب القديم ،المرجع السابق ،ص 240-242.

[1]- ربيع عولمي ، المرجع السابق ، ص 507.

قلة المنتوج، في حين فائض المنتوج يصدر إلى روما في الوقت الذي صعبت فيه الحياة على السكان نتيجة الإجراءات التي اتخذتها السلطة ضدّهم مثل الطرد و مصادرة الأراضي لم يعد الأجراء يجدون فرص العمل بسبب كثرة عددهم فلجؤوا إلى القروض الربوية وهو ما زاد الأمر سوءا بحيث يقوم الأغنياء بالرفع من الربح المفروض على القرض ويضعون شروطا تعجز الدائن وتجعله أسيرا للمدين له [1].

وقد تمكنت هذه الطبقة الكادحة والبائسة من تنظيم نفسها في حركة إجتماعية، والتي كانت ترتكز في مقاطعة نوميديا حيث ضمّت العمال والريفين الأحرار المهمشين بهدف إصلاح الوضع وتطبيق العدالة الإجتماعية، وقد شكلت هذه الحركة امتدادا للثورات السابقة التي قام بها الأهالي ضدّ الرومان رفضا للوجود الأجنبي لذا فإنّ العوامل الدينية والإقتصادية والإجتماعية والإقتصادية المذكورة سابقا مهدت لظهور هذه الثورات التي طالبت بالمعيشة الكريمة مع استرجاع أملاكهم المسلوبة، وكذلك كرامتهم وحقهم في الإنسانية ومراعاة المبادئ التي جاءت بها الديانة المسيحية.

خصائص و سمات حركة الدوارين:

إنّ المؤرخين قد ركزوا على الواقع الإقتصادي أكثر من الجانب الديني خلال دراستهم للأوضاع في المغرب القديم خلال القرن الرابع إلى الخامس ميلادي لذلك فإن إشكالية الدوارين لا تنحصر على الجانب الإقتصادي، بل كان من الضروري البحث عن طبيعة حركتهم وسماتها حتى يتسنى إلقاء المزيد من الضوء على هذه الفئة من المجتمع الإفريقي خلال هذه الفترة الرومانية من تاريخ المغرب القديم في هذا السياق نعالج في هذا الفصل طبيعة حركة الدوارين وسماتها الإجتماعية والدينية التي اتسمت بها على مدى تاريخها وصراعها الطويل مع الكاثوليك قبل سنة 347م وبعدها من خلال المصادر الكاثوليكية والدراسات الحديثة.

[1]–عمران عبد الحميد ، نفس المرجع، ص242.

سمات الدوارين في كتابات "أغسطين":

نتطرق إلى أغسطين الذي يكون قد بالغ في ذكر عدد إنتحارات الدوناتيين لكن يبدوا أنّه من الصعب تقليل من أهمية شهادته وفي نفس الوقت يتعذر قبول تصريحات "أوغسطين" والكتاب الكاثوليكي دون تمحيص و تدقيق وهذا للأمانة العلمية[1].

أ – سمات الدوارين قبل أحداث باغاي 347 م:

إنّ القديس أوغسطين يشير في إحدى النصوص ردّا على الأسقف " غودانتيوس"* (Gaudentius): " إنّ المنتحرين نادرا ما كانوا يلجؤون إلى الماء والنار وإنّما كانت المنحدرات الجبلية هي التي تبتلع منهم الفرق العديدة"[2].

وتجدر الإشارة أنّ المصادر تحدثت عن واقعة أخرى تركت أثرا بالغا في تاريخ الشهداء الأفارقة في القرن الرابع الميلادي، وأثارت نقاشا حادا بين الكاثوليك والدوناتيين، إنّها حادثة وفاة "ماركوس (Marculus) أحد أساقفة الدوناتيين الذين هلكوا أثناء مقاومتهم "لقانون الوحدة"، القانون الذي أصدره الامبراطور "قنسطانس" (Constance)سنة 347م، والذي قام بتنفيذه المبعوثان الإمبراطوريان "بولوس"(Paulus)، وماركوس (Macarius) ضدّ الدوناتيين خاصة في نوميديا بصرامة شديدة.

---

[1] –Lancel (S.), Actes de la Conférence de Carthage en 411, Introduction, S.C., nº 194, Paris, 1972,P 414.

*هو اسقف تيمقاد الدوناتي، احد المثقفين الدوناتيين ، واول دونتاتي هاجم القديس "اوغسطين"، مباشرة وكان احد ممثلي الدوناتية السبعة في مناظرة قرطاجة سنة 411م، للمزيد انظر : ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص405.

[2]– ربيع العولمي ، المسيحية في المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص 510.

ولما وصل المبعوثان الإمبراطوريان إلى نوميديا أرسل الأساقفة الدوناتيين عشرة ممثلين عنهم إلى "ماكاريوس"لمحاولة إقناعه بالعدول عن استعمال العنف معهم و إسداء النصح إليه لكي يرجع عن غيّه حسب ما ذكره بول مونصو[1]، غير أنّ "ماكاريوس"عامل وفد الدوناتين بازدراء وأمر بجلد الأساقفة واحتجز أكثرهم صلابة وهو الأسقف ماركوس وطاف به في المدن النوميدية إلى أن لقي حتفه.

وأشار الدوناتيون فيما بعد أنّ جلادي "ماكاريوس ألقوا به حيا من أعلى جرف جبل منطقة في "فيجيزيلا"**(Vegesela)**، (قصر الكلب حاليا قرب خنشلة) في الشرق الجزائري، وأكدوا على ذلك بينما ادعى الكاثوليك أنّه انتحر بهذه الطريقة ومهما كان سبب وفاة " ماركولوس " فإن ذكراه ظلت خالدة في ذاكرة الدوناتيين، فأقاموا له ضريحا عثر عليه في الكنيسة فيجيزيلا [2]، لقد أثارت حادثة وفاة ماركولوس ضجة تاريخية وجدلا ظلّ قائما بين الدوناتيون والكاثوليك حول ظاهرة الإستشهاد أو الإنتحار، وهكذا كانت بعض الطبقات الشعبية تميل إلى تقديس الشهداء ورفاتهم، لذلك كانت تحاول تقليدهم واتباع نهجهم في نوع الوفاة التي اختاروها و اشتهروا بها.

ب- سمات الدوارين بعد احداث باغاي سنة 347م:

إن إنقسام الكنيسة الإفريقية إلى تيارين دينيين كان وليد صراع داخلي اتخذ أبعادا سياسية ونتج عنه تيار موالي للسلطة وتيار معارض لها مما أدى إلى القضاء على مفهوم الكنية الواحدة.

إنّ الامبراطور الروماني قنسطانس وسياسته تجاه الكنيسة الدوناتية عام 347م، جعلت الأوضاع تتأزم في المنطقة بل تطورت بشكل خطير وتحولت إلى مواجهات عنيفة، فطلب الأسقف دوناتوس الإعتراف به أسقفا شرعيا على كنيسة قرطاج بعد وفات الأسقف كايكيليانوس عام 346م

[1] - Monceaux(P),.H.L.A.C..V،p–p.69-81.

[2] -Cayrel (P),Une Basiliaue donatiste ….op .cit .p–p 114-142:Courcelle,(p.)une seconde campagne de Fouilles..,op .cit .,p 166-167.

وبعد إعلان المبعوثين بولوس ومكاريوس مساندتهما للكنيسة الكاثوليكية وقيامهما بتنفيذ مرسوم الوحدة، واستنجادهم بالجيش عند دخولهما إلى مدينة باغاي بنوميديا واستنجاد الدوناتيين بالثوار الريفيين المناضلين للدفاع عنهم حمل الكاثوليك[1] المسؤولية وحاولوا تبرير إستعمال السلطة ضدهم واعتبر الدوناتيون كنيستهم "كنيسة الشهداء "[2].

وبعد قيام مكاريوس بإهانة الأساقفة الدوناتيين وأمر بجلدهم وسجنهم وقتلهم وسقط على إثر أحداث باغاي العديد من الضحايا أغلبهم من الدوناتيين منهم دوناتوس "أسقف مدينة باغاي و"ماركوس "(Marculus)، وحسب تفسير أوبطاتوس الذي يعتبر المصدر الرئيسي الذي أورد أحداث باغاي بشيء من التفصيل [3]، حيث يروي أن مهامة: بولس وماكاريوس كانت تتلخص في تعداد الفقراء وتوزيع الصدقات عليهم من جهة وحرص على الرجوع إلى الوحدة الدينية "من جهة ثانية، وعندما اقترب المبعوثان من مدينة باغاي اعتزم أسقفها دوناتي المسمى دوناتوس وهو عدو الوحدة الدينية عدم الرضوخ لهما و مقاومتها، ثم بعث المنادين (Parecones) إلى ضواحي المدينة وإلى كل الأسواق(Nundince)، كي يستدعي الدوارين المناضلين،(Agonisticos circusncellionse) إلى التجمع في مكان عينه لهم وهكذا طلب عندئذ العون من أولئك الدوارين الذين كانت أعمالهم الجنونية قبل ذلك عند الأساقفة الدوناتيين أنفسهم كلهيب من الزندقة والكفر...".

وهكذا فإنه يتضح لنا أن دوناتوس قادة زمرة ثائرة وهم الدوارين لمواجهة مبعوثي الإمبراطور "صانعي الوحدة Operaricunitatis"وخوفا على الأموال التي كانا يحملانها لتوزيعها على

[1]– ربيع عوملي،المرجع السابق ، ص 528.

[2]– اويحي سعيدة ، مدينة باغاي ، قلعة الدوناتيين، مجلة التاريخ المتوسطي ،المجلد 3، ع1، الجزائر، جوان 2021، ص78 .

[3]–سايغي ليلة، خلوز كاتية،حركة الدوارين (305-429م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب القديم،جامعة مولود معمري ،تيزي وزو،2023 2022،ص 55.

الفقراء، فإنهما اضطرا إلى طلب الحماية من "الكونت"* سلفيستر Silvestes وجنوده فلم يكن في نيتهما الهجوم ولكن الدفاع عن النفس في حالة هجوم دوناتوس وكان هذا الأخير قد جمع حشدا كبيرا من الدوارين وادخر المؤن في كنيسته التي تحولت إلى مخزن عمومي للحبوب، وعند مشارف باغاي انطلق جنود استطلاع ولكنهم لم يحضوا بالإستقبال اللائق ومن مقربة من باغاي هاجم الدوارون أولئك الفرسان "فجرح جنديان أو ثلاثة " فأراد رفقاؤهم أخذ الثأر من المعتدين فانقضوا عليهم وهكذا قتل بعض الدوارين.

ويجدر بالذكر أنّ الكاثوليك لم يخفوا فرحتهم بتدخل الدولة إلى جانبهم وتنفست كنيستهم الصعداء،ووجهت ضربة إلى الكنيسة الدوناتية كادت أن تقضي عليها لولا تبدل الظروف وصعود "جوليانوس" إلى العرش وبدت واضحة للعيان أن مصالح الدولة كانت تتطابق مع مصالح الكنيسة الكاثوليكية فتبنى الدوارين القضية الدوناتية ودخلوا في الصراع الديني ضدّ الكنيسة الكاثوليكية وهذا التحالف وقع بعد أحداث نوميديا وليس قبلها كما ادعى أوبطا الميلي.

ونلاحظ اختلاف و جدل حول التفسير الذي أعطاه الكاثوليك لموت الدوارين ففي البداية أكدوا أن الدوارين لقوا حتفهم خلال المقاومة التي نظمت ضدّ أعمالهم العنيفة في اشتباك مع أنصار الكاثوليك..

والتفسير الثاني: الذي يرد مقتل الدوارين إلى عادتهم في الانتحار.

يبدوا أن ضرورة الجدل الكلامي دفعت "أوغسطين" إلى المبالغة في عدد المنتحرين لإلقاء المسؤولية على الدوناتيين ومن جهة أخرى أمليّ عليه بأن يقلل من عدد المنتحرين ليظهر إيجابيات تدخل السلطة الرسمية ضد المنشقين [1].

*–كونت دوقية إفريقيا: يعينه الامبراطور قسطنطين –على راس جيش " دوقية"افريقيا يعرض والي "دوقية " (الفيكارلوس (Vicarius) او يعمل بجانبه لكنه تابع للامبراطور ، للمزيد ينظر ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم،ص522.

[1]– ربيع عولمي ،السيحية في المغرب القديم، المرجع السابق ،ص 531 .

كان الدوارون حسب أوغسطين يلجؤون إلى الإنتحار الإرادي عنما لا تتيح لهم الظروف الإستشهاد في المعارك بل يصل بهم الجنون أحيانا إلى إرغام الآخرين على قتلهم.

ويقدم: أغسطين تفسيرا تاريخيا لهذه الظاهرة قائلا: "إنّ أولئك الذين استطعتم إقناعهم بفكرة إقتراف هذا الإثم (أي الإنتحار)، ينتمون في الواقع إلى سلالة أولئك الرجال الذين اعتادوا في القديم أن يقوموا بنفس العمل فكانوا يرتمون على جماهير المشركين (Pagani) الذين أشهروا أسلحتهم وهم يتلاعبون لإقامة شعائرهم الدينية، وكان هؤلاء المشركين ينذرون لأوثانهم كلّ الضحايا الذين يسقطون بين أيديهم أما المتعصبون كانوا يهرعون إليهم جماعات من كل جانب ويلقون بأنفسهم على الحراب الثاقبة وهكذا يحصلون في نوبتهم الجنونية على الموت وفي حالتهم المتعفنة على ضريح وفي خداعهم على القديسين[1].

يبدوا أنّ ادعاءات "أوغسطين" بأنّ الإنتحاريين كانوا يرغمون الآخرين على قتلهم بعيدة عن المنطق ولا يقبلها العقل فالأسقف الدوناتي "غادنتيوس*" (Gaudentius) الذي هدد الوكيل الإمبراطوري "دولكيتيوس (Dulcitius) بحرق نفسه مع مجموعة من أتباعه داخل كنيسة تيمقاد يقول:"في هذه الكنيسة، حيث ظل اسم الله و المسيح يعبد دوما بحق من لدّن رعية عديدة وذلك حسب اعترافك نفسك فإن تبقى على قيد الحياة ما شاء الله من الأيام أمّا أن نضع حدا لحياتنا في حرم هذا المعسكر الرباني كما يجدر بعائلة الرب ولكن بهذا الشرط: أن يمارس علينا العنف عندئذ يقع التنفيذ فليس هناك أحد يصل به التهور إلى الجري وراء الموت إذ لم يُرغم على ذلك يتضح من النص أنّ الأسقف "أودانتيوس" كان مثالا تاريخيا فريدا في الرد على ادعاءات "أوغسطين" بالحجة

---

[1]- ربيع عوملي ، المسيحية في المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص530.

*-غاودينتيوس(ق4-ق5م): كان اسقف بريشيا في ايطاليا ،عرف بكتابته اللاهوتية وخطبه ،كان معاصرا للأسقف امبروسيوس ، للمزيد ينظر ، ar.wikipedia.org

والبرهان، فإذا كانت وفاة الأسقف "ماركولوس" (Marculus)، ظلت سبب للجدل و النقاش بين الكاثوليك والدوناتيين أي بين القائلين بانتحارهم (وهم الكاثوليك) والمؤكدين بقتلهم (وهم الدوناتيين) فإننا نجهل كيف انتهت قصة "غودانتيوس" وأتباعه في الكنيسة تيمقاد.

لكن من المؤكد أن الرجل أخذ الوقت الكافي لتبادل الرسائل مع " دوليكيتيوس " التي حولها بدوره إلى "أوغسطين " والذي رد عليها في كتابه الشهير:" الرد على غودانتيوس أسقف الدوناتيون "Contra Gaudentium donatistarum episcopum" في حوالي سنة 420م ومن جملة ما اشترطه أن يتعرض هو وأتباعه للإضطهاد من قبل السلطة الرسمية ممثلة في الوكيل الإمبراطوري "دوليكيتوس" ليقيم الحجة عليها ويقدم على تنفيذ فعلته وتهديده بالإحراق داخل الكنيسة ولكن الأقرب إلى الصواب أنّ الدوارين كانوا على الأقل يدفعون الكاثوليك وقوات الأمن للإشتباك حتى يحصلوا على الإستشهاد يمكن الإستنتاج مما سبق أن" أوغسطين " ربما بالغ في ذكر عدد المنتحرين وأنه أحيانا على الأقل كان يحسب في في تعدادهم أيضا القتلى الذين سقطوا في المعارك مع قوات الأمن والجيش أو مع أنصار الكاثوليك[1].

سمات حركة الدوارين الدينية:

إن حركة الدوارين تميزت بمجموعة من السمات الإجتماعية والدينية التي اتسمت بها على مدى تاريخها وصراعها الطويل مع الكنيسة الكاثوليكية، يمكن أن نذكر بعض تلك السمات فيما يلي:

-أولا تسميات الدوارين الدينية: ورد ذكر الدوارين في أقدم نص عند اوبطا الميلي، وهو يتحدث عن تلك الجماعات التي استنفرها "دوناتوس" الاسقف الدوناتي بمدينة بغاي (Bagai) لمقاومة البعثة الامبراطورية وبُنَات الوحدة وهم يحملون الهدايا والهبات سنة 347م، أمّا في قوانين الإمبراطورية فقد وصلتنا هذه التسمية في بداية القرن الخامس ميلادي ولما كان الدوناتيون

[1]- ربيع عولمي ، الديانة المسيحية في المغرب القديم خلال القرن 4و 5 م، المرجع السابق ، ص-ص 532-533 .

أنفسهم يرون أن هذه التسمية وصفا يحمل الكثير من التحقير والإزدراء فقد أطلقوا على الدوارين اسم "المناضلين " (Agonistici)، وهي تسمية نفسها التي استعملها القديس اوغسطين":"...ربما سوف يقول الدوناتيون:إن ذوينا لا يحملون اسم الدوارين أنتم (الكاثوليكيون) الذين تسمونهم بهذا الاسم لإهانتهم...أما هم (الدوناتيون) فيسمونهم "المناضلين"(Agonistici).

وقد اختلف الباحثون والمؤرخون المحدثون حول هذه التسمية، حيث تعتقد: "أوديت فانييه"(O.Vannier) أنّ أسقف بغاي الدوناتي منح لقب " المناضلين" للدوارين اعترافا لهم بالجميل بعد أن هاجموا الفرقة المرافقة للبعثة الامبراطورية التي كانت تحمل الهدايا والهبات للسكان وخدموا بذلك مصالح الكنيسة المنشقة[1].

ويرى "بريصون "(J.P.Brisson):" أن هذا اللقب قد أطلق تلقائيا على أولئك العمال الفلاحيين الذين منذ ما قبل سنة 347م، أخذوا مبادرة الثورة للدفاع عن رفقائهم فكان يقال آنذاك:

" الدوارون المناضلون" تماما كما نقول اليوم " العمال المناضلون".

ويذكر أوبطا الميلي" تسمية أخرى أطلقها الدوارون على أنفسهم وهي "عساكر المسيح"(Militer christi) حيث أن هذه المفردات لها مدلول ديني[1].

ثانيا - الإنتحار الإرادي او الإستشهاد عند الدوارين:

تحدث بعض المؤرخين المحدثين عن ظاهرة تقديس الشهداء وجاء في بعض النصوص الكاثوليكية التي ربطتها بظاهرة " الإنتحار الإرادي" قصد الحصول على درجة الشهداء ويشير "أوبطا

[1]- ربيع عولمي ، المرجع السابق،ص534.

[1]- المرجع نفسه،ص536.

الميلي" إلى الإستشهاد الباطل عند الدوارين، حيث يذكر أنهم كانوا يرمون أنفسهم من أعالي الجروف ومنهم من يرى أنها ظاهرة دينية هي أقرب ما تكون إلى "الصوفية" ناتجة ربّما عن تعصب ديني يمكن وصفه "البدائي"[1]، ومن ثم اتجه بعض الباحثين إلى القول بأنّ الدوارين لم يكونوا إلا فرقة دينية متعصبة[2] بينما كان يرى آخرون أن تصرفات الدوارين في تعاطيهم "الإنتحار الإرادي" أنه يعود إلى تلك الظروف الإجتماعية والإقتصادية المزرية التي كان يعيشها الدوارون[3].

ثالثا- تبجيل رفات الشهداء:

ترتبط ظاهرة الإستشهاد بظاهرة أخرى لها مكانتها وأهميتها عند الدوناتيين وهي تبجيل الشهداء وتقديس رفاتهم وإقامة الأضرحة لهم في الكنائس:(Martyria)، وحسب نص "بياتوس" نقله "مونتسو":"فإن الدوارين كانوا يمكثون طويلا في زيارة أضرحة الشهداء.

ويشير "أوغسطين" إلى تجمعات الدوارين عند تلك الأضرحة بصحبة العذارى المنذورات (Sanctimoniales)أو (Moniales)لخدمة الكنيسة الدوناتية اللائي كن يشاركن الدوارين في تنقلاتهم ويُحَمل أوغسطين الدوناتيين مسؤولية تلك الممارسات التي تحدث عند تلك الأضرحة

---

* – يرى " جيم بول بريسون" ان ظاهرة الانتحار لها ما يماثلها في حركات دينية اخرى ذات طابع شعبي كحركة " المؤمنين القدامى "،"Vieux–croyants في روسيا .وبالرغم من ان " بريسون" افرد فصلا كاملا عن الشهداء (ص–ص 288–323) في القسم الثاني من كتابه الشهداء و الدوارون (ص–ًص 243–410)، الا انه لم يتناول ظاهرة الانتحار عند الدوارين الا في جملتين وهامش (ص 350–351)، وفي بقية الصفحات تناول الانتحار كظاهرة عامة عند الدوناتيين ،للمزيد ينظر Brisson ,(J.P),Op.cit,pp.321,n 6.

2 -Gacic(P),Classes et luttes sociales en Afrique Romaine, Dapres les historiens sovitiques,A.E.S.C.,XII,1957,p–p 650-651.

3 –Brisson (J. P.), Autonomisme et Christianisme dans l'Afrique Romaine, Paris**,** de Boccard, 1958 p 154.

قائلا: «... يتركون جماعات عذاراهم (Moniales) الثملة تختلط بعصابات الدوارين المخمرة ليل نهار وتشاركهم في تسكعهم الشائن » [1].

ولكي تكتمل الصورة يذكر أوغسطين" أن العذارى الدوناتيات كنّ يلجأن إلى الإنتحار حتى لايفتضح أمرهن ويحاولن إخفاء حملهن قائلا: « ولهذا فإن بعض عذاراكم الحوامل يلقين-هنا أيضا- بأنفسهن من أعلى الجروف فتنفلق بطونهن، وبذلك يكشف انتحارهن الإجرامي عن جرائم فسقهن وهن يعتقدن أنهن بانتقامهن هذا من أنفسهن، سوف ينجين من إنتقام خالقهن»[2]، والحقيقة أن هذه الظاهرة لم تكن تقتصر على الدوناتيات فقط بل كانت ظاهرة عامة متفشية في كل الأوساط الشعبية بما فيها الحضرية فالمجادل الكاثوليكي "أوغسطين" استغل بعض الحالات للتحقير بالدوناتيين وهي حالات لم تنج منها حتى الكنيسة الكاثوليكية نفسها.

يرى "فراند (W.H.C., Frend) "أنّ الدوارين لم يكونوا يتنقلون من دير إلى آخر ولكن من ضريح شهيد (cella) إلى ضريح آخر ومن هنا كانت تسميتهم بـ"الدوارين"[1] وحسب الباحث الإنجليزي فإن هناك شبها واضحا بين الدوارين في المغرب القديم والرهبان المتجولين في مصر وسوريا، حاول أوغسطين توريط الدوناتيين في تلك الممارسات المنحرفة إذ قال "...إنهم يبعدون هذه الحشود المسكينة عن وحدة المسيح ويحاولون إستمالتها إلى حزبهم فلا يخجلون من تشبيه العقوبات التي

[1]-صايغي ليلة ، حركة الدوارين ،المرجع السابق ،ص198.

[2]-ربيع عولمي، المسيحية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص544.

[1] -Frend(W.H.C),the donatist church ...,Op,cit..p,173 Idem,the cellae of the African circumcellions...Op,cit.,pp.87-90

تصيبهم لقاء إنشقاقهم على يد السلطة الزمنية بآلام الشهداء ويحفزون أولئك السذج على الإحتفال بذكرى تلك العقوبات في حفلات صاخبة..."

كانت ظاهرة تقديس الشهداء ورفاتهم ظاهرة ظاهرة عامة، وليست خاصة بالدوناتيين او الدوارين و لا حتى بالافارقة فقد عرفت في مختلف ارجاء الامبراطورية الرومانية، وابتداء من القرن الثالث ميلادي بدء المسيحيين يحتفلون بذكرى شهدائهم[1].

وقد عرفت هذه الظاهرة إنتشارا واسعا وخاصة خلال القرن الرابع ميلادي حيث تسابق معظم الناس إلى امتلاك رفاة الشهداء والحصول على قبور قرب أضرحتهم ويتجلى لنا أن القديس أوغسطين لم يرفض تبجيل الشهداء وتقديس رفاتهم فحسب لكنه ندد بالممارسات المرتبطة بها وهي عادات وثنية وما قيل عن زيارة القبور والأضرحة يمكن قوله عن تقديس رفاة الشهداء سواءً في المغرب القديم أو في مختلف أرجاء الامبراطورية الرومانية، وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية مكافحة تلك الأصول الوثينة التي تجلت في التمائم وتقديس الجن والرقص الطقسي والمآدب المقامة عند الأضرحة[1].

وقد اعتبر القديس "أوغسطين" الشماس "نابور" (Nabor) شهيدا لأنه ارتد عن الدوناتية فقتله الدوناتيون إنتقاما منه في حين رفض نفس اللقب لستين (60) مسيحيا سقطوا في إشتباك مع الوثنيين عنما أرادوا تحطيم أصنامهم في " سوفيتولا" (Sufetula).

[1]– ربيع عولمي ، المسيحية في بلاد المغرب القديم خلال القرن الرابع والخامس ميلادي ، ص539.

[1] –Piganiol(A).I Empire chretien …Op.cit ..pp.411-414

يتجلى تناقض اوغسطين في أنه كان يندد بممارسات الدوناتيين وفي الوقت نفسه يخصص لرفات الشهيد "سطيفانوس "[*](St.Sephanus) ضريحا ومأوى للزوار.

كان أوغسطين يؤمن بعالمية الكنيسة إلى حد لم يحصر فيه إعجابه بقديسي إفريقيا و شهدائها، وبذلك خالف تماما تزمت الدوناتيين بل كان يقدس شهداء إيطاليا و إسبانيا وغيرها من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية.[1]

لقد اصطبغ الصراع الكاثوليكي الدوناتي بصبغة سياسية فالكاثوليك عن قصد أو غير قصد كانوا يدعمون السلطة الرومانية وسياسيتها لا لكونهم قبلوا السلام القسطنطيني ومهادنة المسيحيين للسلطة الزمنية فقط، ولكن لكونهم كانوا يمثلون جانبا أساسيا من وحدة الإمبراطورية الرومانية وهو الجانب الديني.[2]

[1] - Hamman(A.G.) Abid..pp337.

[2] - ربيع عولمي ،المسيحية في المغرب القديم خلال القرن 4م و5 م، المرجع السابق، ص545

سقط الكثير من الدواريين في الإشتباكات مع الجيش أو أنصار السلطة من الكاثوليك، وقد استشهد هؤلاء لا من أجل قضية "المسيح أو قضية " دوناتوس فحسب ولكن من أجل مناهضة الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية و السياسات المجحفة القائمة على الطبقية.

لذا كان على الباحث أن لا ينساق وراء فرضية الباحث الانجليزي " فراند "(Frend) والتي تركز على ارتياد الدوارين أضرحة الشهداء يعتبر تعصبا و تزمتا دينيا من الدوناتيين، فالتركيز إذن على هذا الجانب قد ينزع من حركة الدواريين أهم سمة من سماتها وهي مناهضة ومقاومة الطبقات المستغلة من كبار الملاك والسلطة الزمنية.

وفي الأخير نسترسل و نقول وبعد الإطلاع على بعض النصوص ودراستها نقول أنّ الحركة ظلت موجهة ضد الملاك والأسياد والمرابين، ولم تكن حركة "فوضوية "ولا تخريبية، فقد كانت حركة منظمة لها مبادؤها وأهدافها وطرق عملها وقد كانت الأزمة التي ظهرت في القرن الثالث ذات أثر لبروز الحركة فيما بعد والتي تفاقمت في القرن الرابع ميلادي إثر الإجراءات التعسفية حيث أنّ الدوارين كانوا في معظمهم من العناصر الوطنية الغير"المترومنة"أو قليلة الترومن نقصد بذلك الذين عانوا تحت وطأة الإجراءات المستبدة في حق هذه الفئة أمّا بعض السمات والمظاهر الدينية لحركة الدوارين وبعد تحليل بعض الأحداث ومقارنة بعض تصرفات الدوارين بغيرهم في إفريقيا وخارجها يتضح أنّ بعض تصرفاتهم لم تكن حكرا على تلك الفئة وأنّ ماجاء في النصوص الكاثوليكية مبالغة في تلك التصرفات نظرا لظروف المساجلة اللاهوتية بين الكاثوليك و الدوناتيين، وفي بعض الأحيان كانت هذه الأخيرة تدافع و تساند الدوناتية ضد الكنيسة الكاثوليكية الإفريقية، ويجدر بالذكر أنّه في المرحلة الأولى لم تكن أهداف الطرفين متطابقة لدرجة أن بعض الأساقفة الدوناتيين طلبوا تدخل الجيش الروماني ضدّ الدوارين في نوميديا شمال الأوراس حوالي 340م،ولكن بعد أحداث باغاي سنة 347مفإن التحالف و التآزر بدأ يتوفقان تدريجيا بين الدوارين و"الألكيروس "الدوناتي، وتم التفاعل بين الدوارين كحركة إجتماعية مناهضة للنظام الروماني والحركة الدوناتية كحركة مضطهدة من نفس

السلطة، ممّا أدى إلى تبني الدوارين للقضية الدوناتية وتحولت من البعد الإجتماعي إلى البعد الديني، وقد كانت العلاقة بينهما يشوبها الحذر حيث أنّ هذا التحالف لم يكن بفعل "إديولوجيا "إجتماعية، فالفوارق العقائدية بين الكنيستين كانت شبه منعدمة وإنّ الدوناتية من حيث تكوينها " السيسيولوجي " تضم نسبة كبيرة من الفقراء في نهاية القرن 4م،ونشير بالذكر أنّ الأغنياء لم يكن كلهم كاثوليك، والفقراء لم يكونوا كلهم دوناتيين وقد سعت الكنيسة الدوناتية إلى الإعتراف بأنّها الكنيسة الكاثوليكية الحقة ولم تتوانى عن اللجوء إلى السلطة في عدة مناسبات وهذا ما يحدد طبيعة وسمات حركة الدوارين ونشأتها.

يبدوا أنّ محاولة تحديد الإطار الإجتماعي بما يحمله من سمات تميز الدوارين كثر أهمية من تحديد إطارهم الديني لأنّ التحديد الأول عكس الثاني لكنه يمكن أن يعطي تفسيرا مقبولا ومنطقيا لحركة الدواريين وطبيعة علاقتهم بالدوناتية وهو ما سنعالجه في الفصل التالي.

الفصل الثالث: علاقة حركة الدوارين بالدوناتية

-الحركة الدوناتية(تعريفها وعوامل ظهورها):

- مراحل تطور الحركة الدوناتية:

-علاقة الحركة الدوناتية بالدوارين:

الحركة الدوناتية(تعريفها وعوامل ظهورها):

تعريف الحركة الدوناتية:

يمكننا أن نعرف الحركة الدوناتية عل أنّها تيار ديني مسيحي مستقل عن السلطة وممتنع عن التعاون معها بأيّ شكل كان، غير ممتثل لأوامر الإمبراطور، وهي حركة محافظة على المبادئ الأولى للنصرانية[1] وتمثل الدوناتية الإنشقاق عن الكنيسة الرسمية الكاثوليكية، وتنسب إلى دوناتوس(Donatus) * الذي أسس كنيسة إفريقية معارضة للكنيسة الكاثوليكية[2].

وتُعرف الدوناتية على أنّها مذهب نصراني إفريقي أسسه دوناتوس، وأقبل عليه الأفارقة للتخلص من الإستعمار الروماني ورفع الظلم والعبودية عنهم وهي أيضا حركة ذات صبغة بربرية متمردة عن الحكم الروماني وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية الرسمية[3]، وحسب رأي

---

[1]–مُحَمَّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني، ص285.

* هناك دوناتوس الأكواخ السود **Casae Nigrae** نسبة إلى إحدى البلديات النوميدية المسماة بهذا الاسم(تقع شمال شرقي باتنة) تاريخ ميلاده ووفاته مجهول، وهو المؤسس الأوّل للحركة الدوناتية وداعيها وممثلها في اجتماعات روما وآرل وميلانو، ثم دوناتوس الكبير المدعو القرطاجي ولد حوالي 270م وتوفي سنة 355م ويرجع إليه الفضل في تنظيم نشاط الحركة وتوسيع انتشارها وتعميق مبادئها: انظر المرجع السابق 285.

[2]–نبيلة حمودي، الدوناتية ودورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس ميلادي، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،الجزائر، مجلد 16، عدد04، ديسمبر 2020م، ص 36.

[3]– بعيطيش عبد الحميد، النصرانية الأولى وإرهاصات الصراع الديني ببلاد المغرب القديم، مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، المجلد 05، العدد 02، ديسمبر 2020م، الجزائر، ص 51.

المـؤرخ الألمـاني(W.Thummel) الدوناتيـة ليسـت إلاّ شـكلا مـن أشـكال رفـض الرومنـة في بلاد المغرب القديم بما فيها أفكارهم الدينية التي عارضوا بها الكنيسة الإفريقية الرسمية.[1]

صورة تمثيلية للقديس دوناتوس، رسمها الفنان الإيطالي فيليبينو لبيFilippino Lippi سنة1490م

المصدر: موقع National Gallery of Art

[1]-بوعمود الحبيب،طيبي أحمد، حاج شعيب أحمد، الصراع الديني في بلاد المغرب القديم(المسيحية والدوناتية) 180-411م، مذكرة ماستر2 في التاريخ القديم، جامعة تيارت سنة 2022م، ص73م.

عوامل ظهور الحركة الدوناتية:

قبل أن نتطرق إلى الأسباب المباشرة التي أدّت إل ظهور الحركة الدوناتية، لابد لنا من الوقوف عند العوامل الخفية والأسباب الغير مباشرة التي ساهمت في ظهور الدوناتية ونوجزها كما يلي:

-الأزمة الإقتصادية والمالية التي اكتسحت الإمبراطورية الرومانية بعد نحو 250 ميلادي والتي لم تستثني إفريقيا الشمالية، والتي جعلت سيّئات السلطة الرومانية أكثر من حسناتها وهذا ما أدى إلى اشتعال شرارة الثورات في الإمبراطورية الرومانية[1].

-تردي الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لغالبية الأهالي، إضافة إلى ممارسات السلطة الرومانية من فرض للضرائب ومصادرة للأملاك والأراضي وتكثيف للتواجد العسكري، وتشتيت للبنية الإجتماعية بإجبار الأهالي على الهجرة وهذا ما خلق كرها للوجود الروماني من طرف الطبقات الفقيرة[2].

-تحول الكنيسة من مسارها النضالي، فبعد أن كانت هذه الأخيرة حتى مطلع القرن الرابع ميلادي شكلا من أشكال المعارضة للإمبراطورية الرومانية تشارك السكان شقاءهم الروحي والبدني وتعطيهم الأمل في حياة سماوية أفضل، أصبحت منذ مطلع القرن الرابع ميلادي نصيرة للسلطة الرومانية، متخلية عن أهدافها في نشر العدالة والمساواة، حاصلة على إمتيازات هائلة بعد اعتناق

---

[1]- روبين دانيال، التراث المسيحي في شمال إفريقيا، دراسة تاريخية من القرن الأوّل إلى القرون الوسطى، ترجمة سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، لبنان، 1999م، ص232.

[2]- حمودي نبيلة، المرجع السابق، ص 37.

السلطة للمسيحية، وسَخَط الأهالي المتضررين من السلطة الرومانية جعلهم يسخطون عن الكنيسة الكاثوليكية هي الأخرى لأنّها ناصرت وتحالفت مع السلطة، ويفقدون الثقة والأمل في أن تناضل الكنيسة الكاثوليكية من أجل تحسين أوضاعهم[1].

وأمام السخط الشعبي على الكنيسة الكاثوليكية الحليفة للسلطة والإمبراطور وجد الأهالي في الدوناتية ملاذا لهم فأصبحت الكنيسة الدوناتية هي كنيسة الأهالي الفقراء الناقمين على السلطة، فاستمدت الدوناتية قوتها من الفئة الأكثر تضررا من النظام الإقتصادي والإجتماعي الروماني وهذا عكس ما فعلته الكنيسة الكاثوليكية التي والت السلطة والطبقة الثرية[2].

العوامل المباشرة لظهور الدوناتية:

إنّ جذور الإنشقاق الديني في المغرب القديم وظهور الدوناتية تعود إلى إضطهاد" ديوكليتيانوس" للمسيحيين في الفترة 303-305م، وإلى أحداث قرية أبيتينا(Abitina)، بالبروقنصلية سنة 304م وهي القضية التي أثارت حماس الجماهير المسيحية، وقد أفرزت أحداث أبيتينا مشكلة المرتدين وتسليمهم الكتاب المقدس[3]، وكان من أسباب هذه الأحداث أنّ الإمبراطور" ديوكليتيانوس" أصدر أربع مراسيم سنة 303م نصّت على:

-منع الاجتماعات والتجمعات المسيحية.

-مصادرة وثائق النصار وإتلاف كتبهم المقدسة وإرغامهم على تقديم الأضحية في أعياد الإمبراطور.

-هدم الكنائس.

---

[1]-خديجة منصوري، الصراع الدوناتي الكاثوليكي، جامعة وهران، ص36.

[2]- محمّد البشير شنيتي ، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، بحوث ودراسات، دار الحكمة، الجزائر، 2003م، ص181.

[3]- الربيع عولمي، المرجع السابق، ص 347.

-إلحاق عقوبات متفاوتة الشدّة تصل إلى الإعدام حرقا ضدّ مخالفي أوامر الإمبراطور.

وفي سنة 304م، قام المسيحيون في قرية أبتينا بمقاومة إجراءات السلطة فسقط منهم الكثير من الضحايا، كما أعلنوا موقفهم من المتظاهرين بالكفر اتقاءً للتعذيب وذلك بطردهم من الدين، وكان لعملهم هذا وقع على نفوس النصارى وخاصة نصارى نوميديا واعتبره الكثير بمثابة ميثاق اجتماعي وديني للمسيحيين، ودعيّ بميثاق الشهداء[1].

وقد اعتبر ميثاق شهداء أبيتينا بمثابة قانون، فقد دعى إلى ضرورة إنفصال الشهداء عن كل المتخاذلين وطلبوا من كلّ المسيحيين الأطهار الإلتزام به وتطبيقه، وبهذا تمّخضت الدوناتية ووجدت تبريرها التاريخي من خلال هذا الإنفصال، فكان الدوناتيون يدّعون خلَفُ الشهداء وكنيسة الصامدين، وأنّ خصومهم هم المتخاذلين، وأهم ما جاء في البيان ما يأتي" إنّ كل من اتحد مع الخونة والمتخاذلين لن يكون في صفنا، ولن يشاطرنا العيش في ملك السموات"، وقد أحدث هذا البيان صدى مؤثرا في مناطق كثيرة من المغرب القديم وخاصة نوميديا وأصبح سلاحا ضدّ الأسقف "مونسوريوس*"(Mensurius) وأنصاره، فمنذ أحداث أبيتينا سنة 304م بدأ الإنشقاق في الكنيسة الإفريقية[2].

فتبرز مختلف الشهادات التي أشارت إلى بداية الإنشقاق أنّ إضطهادات الإمبراطور" ديوكليتيانوس" للمسيحيين في بلاد المغرب القديم خلال الفترة(303-305م) أدّت إلى ارتداد الكثير من المسيحيين، وطرحت مشكلة الإنقسام بقوة في الكنيسة الإفريقية، ونتيجة للإضطهادات العنيفة مع بداية القرن الرابع ميلادي ضعفت همة الكثير من رجال الدين أمام هذا التهديد، وسلموا نسخا

---

[1]-مُحَمَّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني، ص288.

* مونسوريوس: رجل دين كاثوليكي وأسقف قرطاجة في بداية القرن الرابع ميلادي، تمّ ذكره في كلّ من كتابات أوبطا الميلي وأغسطين، استدعاه الإمبراطور إلى روما وتوفي في طريق عودته منها سنة 311م، انظر: الربيع عولمي، المرجع السابق، ص388.

[2]-ربيع العولمي، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم(من خلال كتابات القديس أغسطين)(311-411م)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 13، ص267، 268.

من الكتاب المقدس إلى السلطات الرسمية[1]، وقد اتهم أسقف قرطاجة والمسؤول الأوّل عن الكنيسة الرسمية" مونسوريوس" بتسليم الكتب المقدسة اتقاءً للتعذيب، وبذلك قارن الناس بين خيانة الرؤساء وبين صمود شهداء أبيتينا[2].

وفي سنة 305م انعقد مجمّع سيرتا الذي اعتبر بداية للقطيعة بين الكنيسة الدوناتية والكاثوليكية، وذلك لرفض القساوسة النوميديين الإجراءات المتخذة من طرف الكنيسة في التعامل مع القرارات الإمبراطورية الرامية إلى مصادرة الكتب المقدسة وممتلكات الكنائس، ويمكننا القول أنّ تاريخ بروز الحركة الدوناتية يرجع إلى مجمع قرطاجة سنة 312م، الذي اجتمع فيه معارضي أسقف قرطاجة "كايكلينيانوس" الذي انتخب أسقفا لقرطاجة بعد وفاة"مونسوريوس" سنة 311م، وقد حضر المجمع سبيعن أسقفا اتفقوا على تعيين ماجورانوس أسقفا على قرطاجة وعدم الاعتراف بشرعية"كايكيليانوس"[3]، وقد اتهم "كاكيكيليانوس" بأنّه شتت بالسوط شمل المتظاهرين أمام سجن شهداء أبيتينا وأنّه قطع المؤونة عن المرشدين المسجونين، ولما رفض كايكيليانوس التنازل عن منصبه التف خصومه في جبهة واحدة حول زعيم اسمه "دوناتوس الأكبر" وبذلك نشأت فرقة الدوناتية نسبة إلى زعيمها[4].

---

[1]-ربيع العولمي، الجدل الدوناتي الكاثوليكي وانعكاساته على بلاد المغرب القديم، مجلة الحقيقة، العدد43، 2018م، ص 526.

[2]-شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص296.

[3]- حمودي نبيلة، المرجع السابق، ص 39.

[4]-شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 297م.

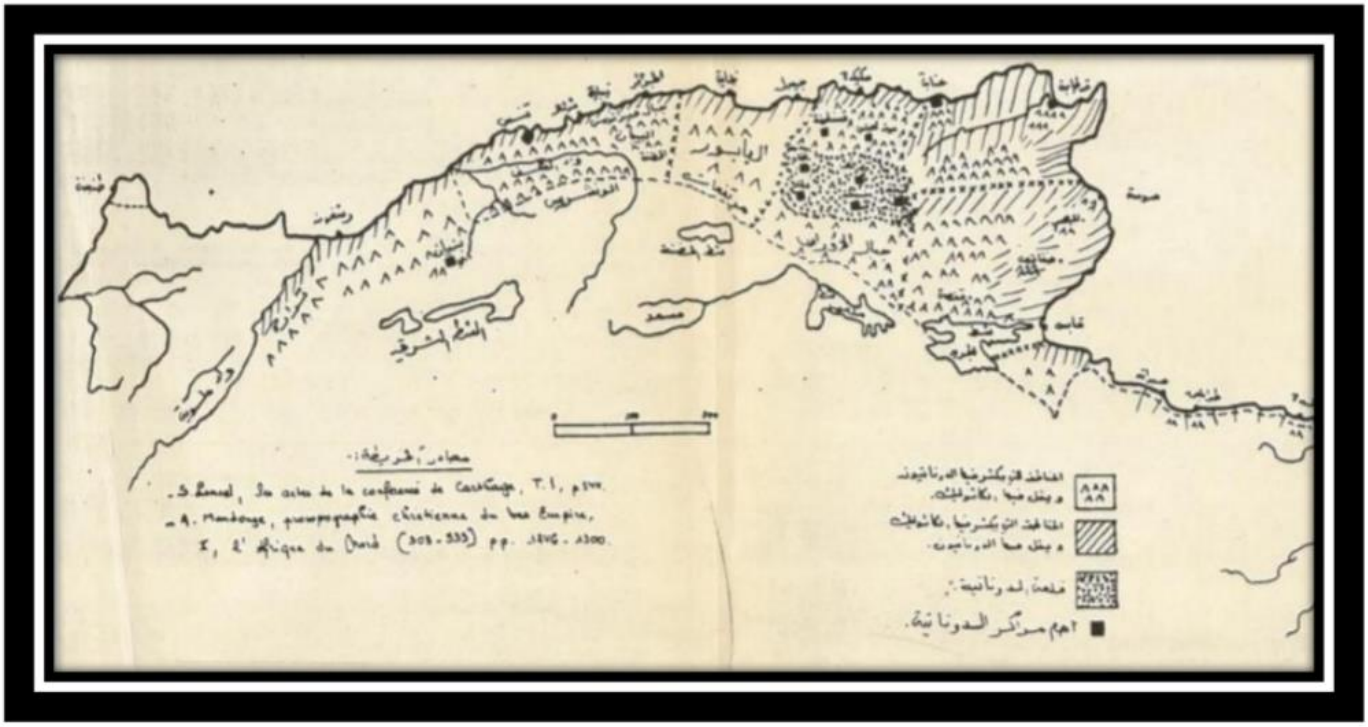

خريطة انتشار الدوناتية في المغرب القديم.

المصدر:منصوري خديجة الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا،المرجع السابق ص321.

مراحل تطور الحركة الدوناتية:

إنّ الأحداث التاريخية التي ساهمت فيها الحركة الدوناتية أو مرّت بها تفرض علينا أن نقسم تاريخها إلى مرحلتين مرحلة أولى كان فيها الإنشقاق الكنسي والخلاف المسيحي سيّد الموقف وجوهر الأحداث وذلك في عهد الإمبراطور "ديكيليانوس" ومرحلة ثانية تجاوزت فيها الدوناتية الكنيسة وأصبحت حركة دينية إجتماعية في عهد الإمبراطور قسطنين وخلفه.

1- المرحلة الأولى(305-347م):

ليس هناك تاريخ محدد لانطلاق الحركة الدوناتية، غير أنّ المؤرخين ربطوا زمن إنطلاقها بأحداث قرية "أبيتينا"، لكن جذور الخلاف الديني تعود إلى زمن أسقفية "كبيريانوس"(249م-285م) التي زامنت الإضطهادات الكبر على يد"دقيوس" والتي كان من نتائجها تنكر بعض المسيحيين من انتمائهم للمسيحية وظهوؤ مشكلة المرتدين والتي استعصى على "كيبريانوس" حلّها وتجلى عجز كيبريانوس في حسم الخلاف حول قضية المرتدين أو المتظاهرين بالكفر في أنّه لم يقدر على إقناع جميع أساقفة إفريقيا وقساوستها بوجهة نظره، وقد عارضته مجموعة منهم معارضة شديدة دفعته لطرد خمسة منهم من كنيسة قرطاجة، وقد تشدّد هؤلاء المطرودين إزاء المرتدّين أو المتظاهرين بالكفر، وقد تمكن أحد المطرودين ويدعى "نوفاتوس" من إنشاء كنيسة منافسة لكنيسة قرطاجة وقد واجه من خلالها "كيبيريانوس" المتسامح مع المرتدين، ولا يُراد من طرح هذه الأحداث الخوض في علاقة الدوناتية بذلك وإن كانت هناك علاقة بين بقايا كنيسة "نوفاتوس" وحركة "دوناتوس" وإنّما المبتغى هو الإشارة لبوادر الإنشقاق في الكنيسة الكاثوليكية[1] التي كانت نتيجة لأحداث مشابهة، أمّا الإنشقاق الدوناتي فمختلف الشهادات التي أشارت إلى بدايته توعزه إلى إضطهادات الإمبراطور"ديوكيليتيانوس" خلال الفترة(303-305م) وظهور مشكلة المرتدين التي أدّت إلى إنقسام في الكنيسة الإفريقية، وكانت أحداث شهداء قرية أبيتينا بداية الإنشقاق في الكنيسة الإفريقية، وقد تبيّن عمق الخلافات في الكنيسة خلال انعقاد مجمع سيرتا في 05 مارس 305م لتعيين أسقف جديد للمدينة بعد وفاة الأسقف "بولوس" وقد حضر المجمع 12 أسقفا نوميديا أصبحوا بعد سبع سنوات مؤسسي الكنيسة المنشقة ، وقد تكرّس الإنشقاق عند عقد مجمع قرطاجة سنة 312م بمنزل لوكيلا بقرطاجة والذي حضره سبعون(70) أسقفا نوميديا أعلنوا عدم شرعية "كايكيليانوس" واتهموا

[1]-محمّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني، ص296.

"فليكس الأبتونجي" الذي أشرف على سيامة(تعيين) "كايكيليانوس" بتسليم الكتاب المقدس خلال فترة الإضطهاد سنة 304م معتبرين إياه مرتدا ومتخاذلا لا يجوز له سيامة "كايكيليانوس"[1]

ويمكننا القول أنّ تاريخ بروز الحركة الدوناتية يرجع إلى مجمع قرطاجة سنة 312م، الذي اجتمع فيه معارضو أسقف قرطاجة "كايكيليانوس" الذي عُيّن خلفا للأسقف "مونصوريوس" من طرف المرتد" فليكس الأبوتوني" وقد اتفق السبعين أسقفا على تعيين" ماجورانوس" أسقفا على قرطاجة، إلّا أنّ "كايكيليانوس" رفض التنازل عن منصبه ممّا أدى إلى تكوين جبهة واحدة من طرف خصومه بزعامة دوناتوس الكبير[2]، وبعد وفاة "ماجورينوس" أثناء انعقاد مجمع روما سنة 313م خلفه الأسقف دوناتوس الأكبر الذي أعطى اسمه للدوناتيين وكان يملك صفات القائد ما مكنّه من تأسيس الكنيسة الجديدة التي اعتبرها الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية وأطلق عليها اسم "كنيسة الشهداء" وبهذا ظهرت الحركة الدوناتية التي حملت اسمه والتي عُرِفت أيضا بحزب دوناتوس(Pars Donati).

وفي سنة 314م دعا الإمبراطور قسطنطين بعد تنصره زعماء الكنائس في جميع أنحاء الإمبراطورية إلى الإجتماع في مدينة آرل(Arle)*، من أجل التباحث لدمج الكنيسة في الدولة وتجنيدها لدعم السلطة وتحقيق اللُحمة بين الإمبراطورية والشعوب وكلّ ذلك ضمن وحدة الكنيسة والمذهب، وجاء في المجلس بند"إنّ كل جندي مسيحي يرمي بسلاحه يطرد من المسيحية" وقد رفض هذا البند الدوناتيون واعتبروا موقف ممثلي الكنيسة تخاذلا وتراجعا عن مبادئهم، كما أعلنوا رفض قرارات المجلس معتبرينها خيانة كبرى ولم يعيروا قرار المجلس حول عودتهم إلى الكنيسة الرمسية والخضوع لأوامر "كايكيليانوس" أيّ اهتمام، وهذا ما نتج عنه قرار رجال السلطة الولائية والكنيسة الرسمية

---

[1]- ربيع العوملي، المرجع السابق، ص 389-390.

[2]- حمودي نبيلة، المرجع السابق، ص39.

* مجمع آرل: عقد هذا المجمع في مدينة آرل فرنسا حاليا سنة 314م بإيعاز من الإمبراطور الروماني قسطنين وقد حضره كلّ من كاسيليان أسقف قرطاج ودوناتوس وكان عبارة عن محاكمة بين الكنيستين المتنحارتين في إفريقيا، انظر: مُحَمَّد دومير، دوناتوس(الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا)، ص24.

بقرطاجة بمنع الدوناتيين من دخول الكنائس والإعتصام بها، وهذا ما زاد من عمق الخلافات بين الدوناتيين والكنيسة الرسمية، وجعلهم متمسكين بمواقفهم أكثر، معتبرين الكنيسة الرسمية كنيسة الكفار الشياطين وأنّ كنيستهم كنيسة الأطهار القدّيسين[1].

ولهذا اتخذ قسطنطين إجراءات قانونية من خلال مؤتمر ميلانو في 10 نوفمبر 316م لتهديد الدوناتيين بالعقوبات الواجب تطبيقها في حقهم في حالة تعنتهم[2]، فقد كان قرار الإمبراطور قسطنطين يهدف يهدف إلى توحيد المسيحية في إفريقيا بكل الوسائل بما في ذلك أعمال العنف، وعلى إثر ذلك قام حكام المقاطعات الرومانية أمثال "لياتيوس"(Leatius) وأورساكيوس(Ursacius)، بحملات عسكرية لإرغام المنشقين عن الكنيسة الكاثوليكية بقرطاجة للإنضواء تحتحها وتطبيق تعليمات الإمبراطور القاضية بذلك[3].

وفي هذا الأمر يقول شارل أندري جوليان وهكذا يتجلى التضامن الذي لا مناص منه بين السلطة المدنية والكنيسة الرسمية، ولم تلبث الكنيسة المنتصرة أن أصبحت بدورها تضطهد خصومها فوحد الكاثوليك والسلطة جهودهم وطردوا الدوناتيين من الكنائس بالقوة العسكرية فهلك منهم عدد كبير[4].

فالإجراءات التي اتخذتها السلطة الإمبراطورية تمثلت في أعمال عنفٍ ألحقت بالدوناتيين أضرارا كبيرة، فكانت الكنائس الدوناتية ميدانا لأنواع التعذيب على يد الجنود، فسقط الكثير من الضحايا وأراق الجيش دماءً غزيرة في المدن التي ناصرت دوناتوس، ولم تنل أعمال الإضطهاد من عزيمة الدوناتيين بل زادتهم إيمانا بمبدئهم وتمسكا به وشجاعة في الصدع به، وهو ما جعل حركتهم تزداد قوةً ورسوخًا وانتشارًا، وامتازت هذه المرحلة بالمقاومة السلمية من طرف الدوناتيين، فلم يستعملوا القوة

---

[1]- محمّد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص180،181.

[2]- حمودي نبيلة، المرجع السابق، ص40.

[3]- محمّد البشير شنيتي، التغيرات الإقتصادية والإجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني، ص297.

[4]-شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص297.

للدفاع عن أنفسهم أمام أعمال العنف أو لنصرة حركتهم، بل عملوا في هذه المرحلة والتي امتدت حتى سنة347م على تنظيم حركتهم ونشر أفكارهم بين الناس، وقد لعب خلال هذه المرحلة زعليم الحركة"دوناتوس الكبير" دورا كبيرا في نشر الدوناتية وتوسيع قاعدتها الجغرافية فضمّت معظم أنحاء المغرب القديم المسيحي وتغلغلت في المدن والأرياف، وقد تمكن دوناتوس خلال هذه الفترة من إكساب حركته أبعادا إقتصادية وإجتماعية وسياسية وبذلك إلتف حولها الفقراء والمضطهدين[1]، إلّا أنّها لم تنحرف عن المبادئ المسيحية من خلال انتهاجها للمقاومة السلمية، وهذا لكونها حركة دينية وسياسية أظهرت الروح الإستقلالية للأهالي[2].

المرحلة الثانية:

تعتبر سنة 347م نقطة تحول كبيرة في تاريخ الحركة الدوناتية وكان هذا التحول بفعل القرارات التي اتخذها الإمبراطور"قسطانس" والتي حاول من خلالها تحقيق الوحدة الدينية والسير على خطى والده قسطنطين المتوفي في 337م، فأوفد محافظين إلى المغرب القديم وهما "ماكاريوس"(Macrius) وبوليس(Paulus) واللذين طلبا من الدوناتيين ضرورة الإرتباط والمشاركة في أقداس الكاثوليك[3]، وقد بدا للإمبراطور قسطانس أنّ الإنشقاق المسيحي يعزو لأسباب إجتماعية تتمثل في الفقر والشقاء فأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء، وراح مبعوثو الإمبراطور ينفذون تعليماته مغدقين الصدقات على الناس لاستمالتهم، فقاومت الدوناتية ذلك ودعت أتباعها لرفض الصدقات، وردّ دوناتوس على مبعوثي الإمبراطور بقوله أنّه ليس من حق الإمبراطور التدخل في شؤون الكنيسة، وتدخل الجيش بقوة لتطبيق أوامر الإمبراطور خاصة في مدينة بغاي التي حوّلها دوناتوس إلى معقل للمقاومة ومركز للمدافعين عن المبدأ[4]، فخلال سنة 347م جرت أحداث دموية، بعدما رفضت الحركة الدوناتية سياسة الإمبراطور

---

[1]- محمّد البشر شنيتي، المرجع السابق، ص298.

[2]- نبيلة حمودي، المرجع السابق، ص40.

[3]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 216.

[4]- محمّد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص299.

القائمة على منح الصدقات للسكان لإمتصاص غضبهم، ونتيجة للعنف المتواصل بعدما أراد الإمبراطور تطبيق مرسومه باستخدام العنف الدموي المفرط بواسطة "ماكاريوس" الذي مارس حملة اغتيالات في مدينة بغاي *فقام دوناتوس بغاي بتحويل "بغاي" إلى معقل للمقاومة وجعل من كنائسها مخازنا للحبوب[1]، ويذكر أنّ الدوناتية قد اعتبرت ديانة وطنية في ثاموقادي(Thamugadi) وتيفست(Theveste) وبغاي(Bagai) وذلك أنّ الطوائف المنشقة في هذه المناطق كانت أكثر عددا وقوة من الكاثوليك، وكانت مدينة بغاي من أهم المناطق المعارضة لقرار الوحدة[2].

وفي هذه المرحلة شنّ الكاثوليك على الدوناتيين حربا كلامية وعسكرية بالتعاون مع السلطة وذلك لإجبار خصومهم الدوناتيين على الخضوع، وعلى إثر ذلك تخلى الدوناتيون عن سلميتهم واستعانوا بالثوار الريفيين للدفاع عن وجودهم فشهدت سنة347م معاركا اعتبرت تجسيدا لتطور الصراع الدوناتي الكاثوليكي[3]، فقد سمحت تلك الأحداث بارتباط الحركة الدوناتية بمحيطها الشعبي وبدأت تتحول تدريجيا إلى مقاومة شاملة، فتزايد عدد أتباع الدوناتية ودعمتها جموع المزارعين والأهالي[4]، فأرسلت السلطة الجيش الذي اعتمد القسوة الكبيرة وحين دخلوا بغاي قتلوا السكان تقتيلا، وكان الجيش كلما دنى من المدن هجرها أهلها كما كانت في بعض الأحيان تنشب معارك طاحنة بين الجيوش والأهالي، فبلغ القمع درجة كبيرة[5]، وسقط عدد كبير من الضحايا أضيفوا إل قائمة الشهداء وقد أطلق الدوناتيون على فترة القمع زمن ماكاريوس، كما قام "ماكاريوس" بنفي

---

*باغاي: قصر باغاي حاليا تقع شمال غرب مدينة خنشلة(شمال جبال الأوراس) كانت بلدية رومانية في النصف الأخير من القرن الثاني ميلادي، تعتبر من أكبر معاقل الدوناتية، حيث وقعت فيها أحداث سنة 347م، انظر: مُحَّد المبكر، المرجع السابق، ص120.

[1]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص214.

[2]- ربيع العولمي، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم، ص274.

[3]- مُحَّد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 299.

[4]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص215.

[5]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 299.

"دوناتوس القرطاجي" خارج إفريقيا هو وبعض الأساقفة الرئيسيين في الكنيسة الدوناتية، وقد أشار "بيرصون" إلى أحداث بغاي الدموية قائلا" وقد سقط خلال تلك الفترة العديد من الأساقفة القديسين المحترمين وتعرض بعضهم للنفي، وتعرضت العذارى الطاهرات للإغتصاب، وأُبعد الأغنياء، وجُرّد الفقراء، وصودرت الكنائس والمعابد، واضطر الأساقفة للفرار، ولا أحد يعلم حجم الجرائم التي اتركبت، وفي نهاية المطاف سفكت في مدينة بغاي وحدها دماء العديد من المسيحيين بسبب هؤلاء الخونة المتخاذلين"[1]، فأصاب الدوناتيين وحلفائهم على يد الجيش الروماني ما أصاب المسيحيين من قبل في فترات الإضطهاد على يد الوثنيين، ولقد تركت الأحداث الدامية في نفوس الدوناتيين آثارا عميقة لم تتمكن الأيام من محوها، فكان "بتيليانوس"(Petilianus) أسقف سيرتا يردد ذكر تلك الأضرار في وجه خصومه الكاثوليك قائلا:"إنّ الكتاب المقدس يقول لاتقتل أخاك أونتم قتلتمونا، ولا تأخذ متاع غيرك وأنتم نهبتم أملاكنا واعتبرتموها ملكا لكم" ممّا يوحي أنّ هذه المرحلة قد تميّزت باستباح كل طرف للآخر[2]، وبذلك تخلصت الكنيسة الإفريقية من أعدائها الدوناتيين بالتقتيل والطرد والضغط مستعينة بالسلطة، غير أنّ تحالف الدولة مع الكنيسة ساهم في تقارب الدوناتية مع الدوارين[3].

وبعد أن مرّت الحركة الدوناتية بأخطر المراحل في تاريخها والتي فقدت فيها الكثير من رجالها وأتباعها، إلّا أنّ الأوضاع تغيرت سنة 355م حينما توفي "دوناتوس الأكبر" في منفاه وانتخب الأسقف"بارميانوس*"(Permenianus) خلفا له كأسقف للكنيسة الدوناتية في قرطاجة، فأعط نفسا جديدا للحركة، وقد كان بيرمينيانوس داهية وداعية نشيطا وخطيبا بارعا، وقد عرف كيف

---

[1]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص430.

[2]- مُحَمَّد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 299.

[3]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 300.

*

يستغل فترة حكم"جوليانوس"* وإعلانه عن حرية المعتقد لصالح الدوناتية[1]، فرغم قصر فترة حكم الإمبراطور جوليان إلّا أنّ الحركة الدوناتية تمكنت من إعادة بعث نفسها، فأعيد بناء الكنيسة المنشقة وازداد نفوذها أكثر من أيّ وقت مضى[2].

فرغم قصر فترة حكم الإمبراطور جوليانوس المرتد(361-363م) إلّا أنّها أعادت للدوناتيين حريتهم، فرجع خلالها الأساقفة المنفيين من طرف قسطانطس واستعادوا ممتلكاتهم ومعابدهم بعدما كرّس جوليانوس الحرية الدينية سنة 362م وأعاد تنظيم العبادة وفي هذه الفترة تراجع نفوذ الكاثوليك وتزحزحوا من الريادة فاقدين الكثير من الإمتيازات فاستعاد الدوناتيون خلال هذه الفترة أنفاسهم وابتهجوا بعد سنوات من الألم والعنف[3]، وبموت جوليانوس المرتد بعدما يقارب السنتين من الحكم إثر إصابته في معركة ضدّ الفرس، انقلبت الأوضاع من جديد وتمّ فرض عقوبات جديدة على الدوناتيين وشبّ الخلاف الديني من جديد[4].

كما امتازت هذه المرحلة ببروز مجادليم أقوياء في صف الطرفين من ضمنهم "بارمينيانوس" الذي ألّف كتابا من خمسة أجزاء للدفاع عن الدوناتية لكم لم تصلنا منه سوى فقرات ضمن ردود خصمه "أوبطا الميلي" على آرائه، ثمّ أوبطا الميلي رائد الجدل الكاثوليكي والمناهض للدوناتية الذي ألّف كتابا حماسيا للردّ على الدوناتية ومعارضة آراء بارمينياوس وسماه "كتاب الرد على بارمينيانوس الدوناتي" وألّفه حوالي 366م، ثمّ بتيليانوس(Petilianus) أسقف سيرتا الذي كتب في أصول الدوناتية شارحا تاريخها، ثمّ عملاق الكاثوليكية القديس أوغسطين الذي لم يتردد في استعمال كلّ الوسائل والإمكانيات لإرضاخ الدوناتية وهزمها كلاميا، بما في ذلك إفتاؤه بشرعية إستخدام القوّة

جوليانوس: اشتهر بلقب جوليان المرتد(331-363م) وهو إمبراطور روما في الفترة من 361-363م، وقد اشتهر برفضه للمسيحية واعتناقه الوثنية.*

[1]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص302.

[2]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص433.

[3]- عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص220.

[4]- المرجع نفسه، ص 221.

لإرجاع المنشقين الدوناتيين إلى الكاثوليكية، ويبدو من مستوى الجدل أنّ خلال هذه المرحلة كان الأساقفة الدوناتيين لا يقلون عمقا عن خصومهم الكاثوليك ولم يكونوا أقلّ منهم تمكنا من اللغة اللاتينية[1].

ولم يكن الجدل السمة الوحيدة لهذه المرحلة فمنذ سنة 363م أي سنة تاريخ وفاة جوليا وحتى سنة 392م، بل عرفت هذه الفترة أيضا صدور الكثير من القوانين والمراسيم الإمبراطورية ضدّ المنشقين الدوناتيين، فقد سعى الإمبراطور"فالنتيانوس" ومن خَلَفَه من خلال المراسيم التي أصدروها إلى حماية الكاثوليكية وضرب الدوناتية من الداخل بمحاولة شق صفها وإحداث إنشقاقات داخلها، وظهرت خلال هذه المرحلة عدّة كنائس مناوئة ومنشقة، إلّا أنّ الحركة الدوناتية استطاعت أن تتحكم في الوضع وتخمد الحركات الإنفصالية داخلها، خاصة بعد التحالف الثائر فيرموس سنة 372م، وتمكنت بعد ذلك من أن تسيطر على كل نوميديا والمغرب القديم[2].

أمّا الفترة بين محاكمة قرطاج إلى نهاية المسيحية في إفريقيا تعتبر المرحلة الأخيرة من تاريخ الدوناتية والتي امتازت بالغموض وقلة الحيوية بسبب الوهن الذي أصاب الدوناتية على يد الدولة في عهد الإمبراطور هونيريوس(379-395م) الذي شدّد الخناق على الدوناتيين وبالغ في إنزال العقاب عليهم[3].

علاقة الدوناتية بحركة الدوارين

1-العلاقة بين الدوناتية والدوارين قبل 347م:

ليس من السهل تحديد بداية العلاقة بين الدوارين والدوناتية بدقة، فإذا ما صدّقنا أغسطين فيبدو أنّ حركة الدوارين تمخضت عن ظهور الدوناتية بنفسها، وأنّ أعمال الدوارين

---

[1]- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص300.

[2]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص 440.

[3]- محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص301.

الإجرامية بدأت مع ميلاد الإنشقاق الدوناتي، فتراه يخاطب الأسقف الدوناتي"بتيليانوس" حوالي سنة 400م قائلا:"ليس من الصعب الوقوف إقليما إقليما على كل ما اقترفته ومازال يقترفه زعماء دواريكم وعصاباتهم المكونة من السكيرين والمجانين منذ بداية إنشقاقكم إلى الآن..." ويرد بنفس اللهجة"كريسكونيوس" حوالي 405م قائلا:".. والواقع أنني لو أردت تعداد كل الفظاظات التي اطلعت عليها عند الأقدمين أو التي تعرفت عليها بنفسي، والتي اضطهد بها ذووكم الكنيسة الكاثوليكية منذ بداية إنشقاقكم إلى يومنا هذا، فأيّ لسان وأيّ قلم وأيّ وقت سوف يلزمني لذلك..."[1]

فحسب هذه النصوص المذكورة فإنّ أغسطين كان يوجه أصابع الإتهام إلى الدوارين، بحيث يشير إليهم على أنّهم عساكر الدوناتية ورؤوس رماحها ضدّ الكاثوليك حيث يهدف هذا الإتهام إلى توجيه أنظار السلطة الرومانية إليهم لتواجههم بالقوة وتقضي عليهم[2].

لذا يبدو من غير المعقول أخذ ما أكده أغسطين على أنّه مؤشر توقيتي جاد ودقيق لبداية التعامل بين الدوارين والدوناتية، وخاصة أنّه لا يستند إلى أحداث تاريخية معينة فقد اطلع أغسطين على كلّ الوثائق والكتابات المتعلقة ببداية الحركة الدوناتية قصد تدعيم محاوراته الكلامية مع الدوناتيين بالحجج والأدلة الدامغة، وإذا رجعنا إلى المرحلة الأولى من الحركة الدوناتية فإنّنا لا نجد دليلا قاطعا على بداية التعامل بين الدوارين والدوناتية رغم محاولات بعض الباحثين لإثبات ذلك[3].

فيعقتد "سرج لانسال" أنّ جذور الدوناتية تعود إلى فترة اضطهاد "ديوكليتيانوس"(303-305م) فبعد تنازل هذا الأخير عن الحكم سنة 305م تمّ انتخاب "سيلفانوس" (Silvanus) في السنة نفسها أسقفا على سيرتا، وفي سنة 320م طعن"نونديناريوس"(Nundiniarus) الذي

---

[1]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص 171.

[2]- الربيع عولمي، المرجع السابق، ص549.

[3]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص172.

كان شماسا تحت أوامر" سيلفانوس" في انتخاب هذا الأخير سنة 307م بتهمة التخاذل خلال فترة اضطهاد الإمبراطور"ديوكليتيانوس" وقد تطور النزاع بينهما إلى حد كبير تطلب تدخل والي نوميديا"زينوفيلوس"(Zenophilus)، وتمت محاكمة"سيلفانوس" بمدينة تيموقادي ترأسها الوالي بنفسه واستمع للشهود، ونقل لنا"أوبطا الميلي" تصريحات الشهود وتدخلات والي نوميديا في محضر خاص بعنوان"زينوفيلوس" ويتضح من خلال هذا المحضر أنّ أنصار الأسقف الدوناتي"سيلفانوس" كانوا عبارة عن دهماء مدينة سيرتا خاصة مصارعي حيوانات السرك والريفيين، وكان أنصار الطرف الآخر من الأعيان بما فيهم السينورات، ويرى "لانسال" أنّ هؤلاء الريفيين أنصار الأسقف "سيلفانوس" ليسوا من العبيد أو المزارعين وإنّما كانوا عمالا فلاحيين يشكلون كتلة بشرية متحركة رهن الإشارة يسهل تعبئتها في أيّ وقت، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء النواة الأوى للدوارين أسلافهم[1].

وتكتسي هذه الإشارة أهمية بالغة لأنّها تكشف عن وجود تنافر بين"البرجوازية" من جهة وبين دهماء المدينة من جهة أخرى، خاصة وأنّ ذلك التنافر لم يكن ذا طابع ديني أو فقهي، بل كان اجتماعيا محضا، ووجود هذا الصراع في بداية الإنشقاق الكنسي كان ذا معنى، بالنظر إلى أنّ سيلفانوس كان دوناتيا فإنّ أنصاره الريفيين كانوا على الحالة التي أصبح عليها الدوارون فقد تدخلوا بالقوة لفرض مرشحهم، وهكذا فمن الممكن إعتبارهم سلف للدوارين واعتبار التصرفات التي قاموا بها إرهاصات لحركة الدوارين[2].

ويتضح أنّه من غير الممكن تأويل النص وتأكيد أنّ هؤلاء الريفيين الذين ذكرهم شهود "زينوفيلوس" كانوا هم الدوارين بسماتهم التاريخية التي ظهروا بها فيما بعد أي بعد تكرس الإنشقاق الدوناتي وهذا لأنّ النّص الذي أورده لانسال غير صريح في هذه المسألة[3].

---

[1]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص551.

[2]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص 175.

[3]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص551.

وإذا تتبعنا أحداث بروز الحركة الدوناتية بعد سنة 305م للعثور على إشارة ما إلى الدوارين، فإننا نصل إلى عام 313م حيث كان الإنشقاق الدوناتي قد تكرس وأصبح المسيحيون في إفريقيا منقسمون إلى فريقين، فريق مؤيد لـ"كايكيليانوس" الأسقف الكاثوليلكي بقرطاج، وفريق معارض له وعلى رأسهم ماجورينوس ودوناتوس، وإذ تقدم هؤلاء المناوئون إلى بروقنصل إفريقية بطلب فتح تحقيق حول صحة سيامة "كايكيليانوس" ومطالبين بتعيين أساقفة من بلاد الغال للنظر في هذه القضية لكون بلاد الغال كانت بمنأى عن الصراعات، بعث البروقنصل للإمبراطور قسطنطين بمحضر عن الوقائع والأحداث الجارية ذكر فيه أنّ المعارضين لـ"كايكيليانوس" كانوا مرفوقين بجمهور من الشعب في نوع من المظاهرة الصاخبة، فهل كان هؤلاء الجماهير الغاضبة دوارين؟، لا يمكن التأكد من كونهم كذلك لأنّ التعبير الذي ورد في المحضر هو تعبير عام وغير دقيق[1].

ويرى مونصو أنّ عصابات الدوارين كانت قد ظهرت منذ سنة 317م بعد صدور مرسوم "قسطنطين" الذي أقرّ نزع الكنائس من المنشقين الدوناتيين ومنحها للكاثوليك واعتمد مونصو على ثلاث نصوص نوجزها فيما يأتي:

1-النّص الأوّل: ورد عن"أوبطا الميلي" ويتناول النص مهمة الأسقفين "أونوميوس" و"أولمبيوس" الذين وصلا إلى قرطاجة سنة 316م لقضاء أربعين يوما في مهمة رسمية قصد جس نبض الكنيستين المتنافستين، وإقرار أيّهما الكنيسة الكاثوليكية الحقة، إلّا أنّ استقبال السكان للأسقفين عند وصولهما إلى قرطاجة كان إستقبالا سيئا حيث تعرضا للمضايقات والإهانة، فهل يمكن أن نتساءل، هل كان العناصر المشاغبة دوارين؟، ويتعذر الجزم بذلك لأنّ التعبير الوارد في النّص كان عاما وغير دقيق.

2-النّص الثاني: الذي اعتمده "مونصو" والذي جاء على شكل خطبة ألقاها "دوناتوس" لتبجيل الشهداء الدوناتيين الذين راحوا ضحايا اضطهاد السلطة الرومانية بعد صدور حكم"

[1]- محم المبكر، المرجع، السابق، ص 177.

قسطنطين" ضدّهم سنة 316م حيث يشير النّص أنّ الدوناتيين قد تعرضوا إلى أعمال عنف واضطهاد على يد الجنود الرومان في مختلف مدن المغرب القديم وبالأخص في قرطاجة، وأنّ الدوناتيين في تلك المواجهات لم يكونوا قادرين على تنظيم أنفسهم ولم تكن لهم القدرات الهجومية التي اتسم بها عمل الدوارين لذلك سقطوا بسهولة أمام عنف ضربات الجنود، فالأمر لا يعدو أن يكون مظاهرات شعبية وقعت في مجال حضري(مدينة قرطاج) بينما كان مجال تواجد الدوارين في الأرياف ولم يهاجموا المدن حتى بداية القرن الخامس ميلادي، فكيف نحكم على تلك الجماهير على أنّها من الدوارين؟[1]

3- أمّا النّص الثالث الذي استدل به"مونصو" فهو عبارة عن فقرة لأغسطين جاءت في ردّه على رسالة"بارمينيانوس" يقول فيها: "ذلك ما حدث قديما بعد صدور الحكم الذي جعلهم(أي الدوناتيين) ينشقون عن الكنيسة، فقد حاولنا نحن الكاثوليكيين منعهم من الإحتفاظ بكنائسنا، إلّا أنّهم احتفظوا بها رغما عن أوامر الإمبراطور، وكانت مقاومتهم تلك لأوامر الإمبراطور من التعنث بحيث أنّ عنف الدوارين الشهير رجح الكفة لصالحهم، وأكثر من ذلك فإنّهم(أي الدوارين) بتمرداتهم الدموية قاموا بمناوشة مبعوثي الإمبراطور المحملين بالصدقات إلى الكنيسة، وتتبعوهما خطوة بخطوة عبر إفريقيا".

وعلى غرار النصوص الأخرى التي ذكرناها يمتاز هذا النّص بذكرٍ صريح لاسم الدوارين لكنّه مع ذلك لم يحدد بداية العلاقات بين الدوارين والدوناتية، فالنّص يتحدث في بدايته عن إجراءات مصادرة الكنائس الدوناتية غداة صدور مرسوم "قسطنطين" 316م، وفي نهايته يتحدث عن وصول مبعوثي الإمبراطور "ماكاريوس" و"بولس" لأداء مهمتهما في إفريقيا سنة 347م، فالنّص يشمل فترة طويلة من 316م حتى 347م، بدون إشارة دقيقة إلى بداية حركة الدوارين، فيبدو إذن رغم ما جاء عند "مونصو" أنّه من الصعب التأكيد على وجود التعامل بين الدوارين والدوناتية في السنوات القليلة التي تلت صدور قانون قسطنطين سنة

[1]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص554، 555.

316م، وهذا لأنّ النصوص المتوفرة ليست صريحة بما فيه الكفاية، وكلّها باستثناء نص أغسطين لا تذكر الدوارين بالإسم، ونص أغسطين نفسه لا يمكن اعتباره مؤشرا توقيتيا دقيقا[1].

ونجد أنّ أقدم إشارة صريحة إلى الدوارين وردت في الفصل الرابع من الكتاب الثالث لـ"أوبطا الميلي" الذي تتحدث فقرة منه عن حركة الدوارين بزعامة "أكسيدو"(Axido) و"فازير"(Fasir) قبل صدور قانون الوحدة في عهد "قسطنس" في سنة347م، وفقرة أخرى تتحدث عن معركة"أكطافا*" بين الدوارين وجنود الكونت"طورينوس"(Taurinus) في حوالي سنة 340م فيبدو إذن من خلال ما أشار إليه نص أوبطا الميلي أنّ حركة الدوارين كانت موجودة قبل سنة 340م على الأقل، والأرجح أنّها بدأت قبل ذلك بمدة، لأنّ تدخل جنود طورينوس ضدّ الدوارين جاء بعد عجز الأساقفة الدوناتيين عن إرجاعهم إلى الصواب في إيطار الكنيسة[2]، ويفهم من هذا أنّ الحركة استفحل أمرها، وأنّها وصلت إلى درجة لايستهان بها من حيث التنظيم وطريقة العمل، وكلّ ما يمكن ترجيحه هو أنّ ظهور حركة الدوارين بسماتها التاريخية لم يكن قد حصل إلّا بعد سنة 340م، لأنّ ذكرهم لم يرد في محضر"زينوفيلوس" على عكس ما يمكن أن يتوقع، ومن جهة أخرى فإنّ وجودهم الفعلي كان حوالي 340م، لذا فإنّ ظهور الحركة كان في الفترة بين عامي 320م-340م[3].

ولابدّ من الإشارة أنّ هناك تعارضا بين رواتي"أوبطا الميلي" و"أغسطين"، فقد ذكر أوبطا أنّ مهاجمة جيش طورينوس للدوارين جاء تلبية لطلب أساقفة دوناتيين اشتكوا تصرفات

---

[1]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص 178-179.

* أكطافا أو محطة أكطافا: ربما هي تجمع لقرى حول ضيعة كبيرة، كانت ملك لشخص يدعى أكطافيوس، وهي عبارة عن تجمعات سكانية كانت على عكس المدن لا تتوفر على إدارة مركزية، مكانها غير معروف في نوميديا، انظر: محمّد المبكر، المرجع السابق، ص124-125.

[2]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص557.

[3]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص180.

الدوارين إلى الدوق طورينوس، إلّا أنّ أغسطين ذكر من جهة أخرى أنّ شمامسة دوناتيين تعاطفوا مع الثوار في تلك الحادثة وضمّدوا جراحهم أشرفوا على دفن موتاهم ضمن مراسيم دينية مماثلة للتي يقيمونها للشهداء الدوناتيين ضحايا الإضطهاد، ثم إنّهم اعتبروا القتلى من الثوار الدوارين شهداءً دوناتيين[1].

وقد بقت الحركة الدوناتية و الثوار الريفيين(الدوارين) متسقلين عن بعضهما البعض استقلالا تاما وحتى متعادين في بعض الأحيان حتى جاءت سنة 347م التي فرضت أحداثها التلاحم بين الدوناتية والدوارين[2].

أحداث سنة 347م والتحام الدوناتية بالدوارين:

إنّ حوادث عام 347م سجلت بداية التلاحم بين الدوناتية المنشقة عن الكنيسة الرسمية وين ثورة الريفيين(الدوارين) الذين أصبحوا يدعون بجنود المسيح (Milites christi)، وأصبح رؤساؤهم يلقبون بقادة القديسين(Sanacorum duces)، وردد جميع الدوارين عبارة " لله الحمد"(Deo Laudes) كشعار ديني للثورة وأصبح ضحايا العنف الروماني يعدون شهداءً قديسين في نظر الدوناتية، وتبنت الدوناتية لمبادئ وأهداف الثورة الريفية، وقد اعتبر بيرصون ذلك دمجا للوازع الديني بالوازع الإقتصادي في الحركة الدوناتية[3]، وقد كان هذا الإلتقاء بين الدوناتية من خلال أحداث بغاي 347م وما صاحبها من تحالفٍ للدولة مع الكنيسة[4]، ومنذ هذا أصبح مصير الحركتين موحدا، فإمّا الوقوف سوية،

---

[1]- محمّد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص 313.

[2]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 301.

[3]- محمّد البشير شنيتي، أضواع على تاري الجزائر، ص 181،182.

[4]- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص300،301.

وإمّا السقوط سوية[1]، فعن ارتباط الدوارين بالدوناتية واكتساء ثورة الدوارين للطابع الديني تقول الباحثة"فانيي" أنّ التحالف بين الدوارين والدوناتية لم يبدأ إلّا مع أحداث"بغاي" سنة 347م وأنّ حركة الدوارين لم تكتس أيّ طابع ديني قبل تلك الأحداث[2]، وبذلك فإنّ ما وقع بنوميديا حوالي 347م كان خطيرا وذا أثر حاسم على تطور الأوضاع بإفريقيا، ويمكن اعتباره منعرجا أساسيا في العلاقات بين الدوارين والدوناتيين، والعلاقات بين الكاثوليكية والدوناتية، فقد كان لما وقع تأثير في الصراع الديني والسياسي في المنطقة برمّتها، ولعب الدوارون في هذه الأحداث دورا طلائعيا، وقد كان المحرك العميق لما وقع هو اعتزام الإمبراطور"قسطانس" التدخل في شؤون الكنيسة فأصدر قانون 347م الرامي لتحقيق الوحدة الدينية، بموجب هذا القانون وفي نفس السنة وصل المبعوثان الإمبراطوريان"بولس" و"ماكاريوس" في مهمة رسمية كلفهما بها الإمبراطور، وقد كانت مهمتهما متعلقة بوضع حدٍّ للفرقة الدوناتية في إفريقيا وإرغام الدوناتيين على الإندماج في الكنيسة الكاثوليكية، وعندما توغل المبعوثان في نوميديا الجنوبية تعقدت الأمور، فعند مدينة"بغاي" وقع الإصطدام الخطير الأوّل بين المبعوثين والدوناتيين، فطلب المبعوثين تدخل الجيش، واستنجد الأسقف الدوناتي لمدينة بغاي بالثوار الريفيين(الدوارين)[3]، ودارت معركة بغاي بين الجيش بقيادة الكونت"سيلفستر" والدوناتيين وقد اتخذ المبعوثان الإمبراطوريان إجراءات في غاية القساوة، وقد أشارت المصادر أنّ بعض الأساقفة الدوناتيين تعرضوا إلى الإهانة بجلدهم وقتل بعضهم، وسجن البعض الآخر، وقد أسفرت تلك المواجهات عن سقوط عدد من الدوناتيين شهداءً(حسب الدوناتيين) ومن أبرزهم "دوناتوس" أسقف بغاي، وماركولوس.

---

[1]- روبين دانيال، المرجع السابق، ص 238.

[2]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص 561.

[3]- محمّد المبكر، المرجع السابق، ص 206.

وتجدر الإشارة أنّ المواجهات بين الدوناتيين وقوات الكونت" سيلفستر" كانت قد انطلقت شرارتها من مدينة"بغاي" و أنّ الجيش تدخل لأوّل مرة ضدّ الدوناتيين في 347م، وقد أورد "أوبطا الميلي" أحداث بغاي في الفصل الرابع من كتابه الثالث ويلخص تلك الأحداث فيما يأتي:".. كانت مهمة بولوس وماكاريوس تتلخص في القيام بتعداد الفقراء وتوزيع الصدقات عليهم من جهة، والحض على الرجوع إلى الوحدة الدينية من جهة ثانية، وعندما اقترب المبعوثان من مدينة بغاي اعتزم أسقفها الدوناتي المسمى "دوناتوس" وهو عدو الوحدة الدينية عدم الرضوخ لهما ومقاومتهما، ثم بعث المنادين إلى ضواحي مدينة بغاي وإلى كلّ الأسواق كي يستدعي الدوارين إلى التجمع في مكان كان قد عيّنه لهم سلفا، وهكذا طلب عندئذٍ العون من أولئك (الدوارين) الذين كانت أعمالهم الجنونية تعتبر قبل قليل عند أولئك الأساقفة (الدوناتيين) أنفسهم كلهيب من الزندقة والكفر".

ويعد ما شهدته مدينة "بغاي" سنة 347م حدثا خطيرا وإلّا ما ظل ماثلا في الأذهان بعد مرور عشرين سنة أي في التاريخ الذي كتب فيه أوبطا الميلي مؤلفه، بل أثير هذا الحادث في مناظرة قرطاجة سنة 411م، أي بعد أكثر من نصف قرن من وقوعه، ويرجح أن يكون هناك عدد كبير من القتلى في صفوف الدوناتيين، فقد بالغا المبعوثان الإمبراطوريان "بولوس" و"ماكاريوس" في القمع والتنكيل بالأساقفة الدوناتيين، ونرى أنّ الأساقفة الدوناتيين تعرضوا للنفي والحبس والقتل والإهانة ليس بسبب إنتمائهم للدوناتية، ولكن لكون السلطة اعتبرتهم محرضين للدوارين أو متواطئين معهم ومن ثمّ ألحقت بهم عقوبات صارمة[1]، فيرى "بيرصون" أنّ جرم الدوناتيين حسب السلطة لا يكمن في الإنشقاق الديني بقدر ما كان يتجلى في تأليب السكان ضدّ السلطة، وبهذه النظرة فإنّ المحرك الأساسي لهذه الأحداث لايتمثل في رجال الدين الدوناتيين ولكن في عنف الدوارين، فيرى"بيرصون" أنّ أسقف بغاي

[1]- ربيع العولمي، المرجع السابق، ص585،588.

دوناتوس بارك عمل الدوارين وساندهم معنويا دون أن يتدخل فعليا بالطريقة التي نسبها إليه أوبطا الميلي، وهذا ربّما لأنّ دوناتوس كان يتطلع إلى ما ستجنيه الكنيسة الدوناتية إذا ما ساندت وتعاونت مع الدوارين[1].

وقد وجدت الدوناتية في ثورة الريفيين سندا طبيعيا ويدّا للنيل من خصومها، ويبدو كذلك أنّ الثوار الريفيين(الدوارين) قد فهموا مبادئ المسيحية على أنّها قوانين إلهية تستهدف تحطيم الطغيان وإزالة الفوارق الإقتصادية والإجتماعية وإحلال العدل والمساواة بين البشر، وبالتالي تقويض البناء السياسي والإقتصادي القائم على التمايز والتفرقة والإضطهاد والأنانية[2]، وقد أكسب احتواء الدوناتية للدوارين هذه الأخيرة طابع القداسة وأصبغ على رجالهم صفة الطهر وأدرج موتاهم في مصاف الشهداء، بعد أن كانت أعمالهم تنعت بالوحشية ويوصف رجالهم بالعصاة المتمردين، ويرى ربيع العولمي أنّ حركة الدوارين رغم انتمائها إلى الكنيسة الدوناتية إلّا أنّها ظلت حركة مستقلة لها أهدافها ومباؤها وتنظيمها وغاياتها الخاصة، عكس ما ذهبت إليه الكاثوليكية التي تعتبر الدوارين عساكر الدوناتية ورؤوس رماحها، وقد كان تدخل الدوارين في الصراع الديني بين الدوناتية والكاثوليكية ليس دفاعا عن كنيسة"دوناتوس" ولا حربا ضدّ الكنيسة الكاثوليكية بقدر ما كان مناهضةً للسلطة الرومانية الراعية للكنيسة الكاثوليكية التي كانت بالنسبة لهم جهازا قمعيا يسعى لتكريس الطبقية[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص589.

[2]- محمّد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر، ص 183.

[3]-ربيع العولمي، حركة الدوارين (الريفيين الأوراسيين) في نوميديا أو محاولة ثورة إجتماعية في شمال إفريقيا(320-411م)، ص42.

1. الموقع والتسمية

باغاي(Bagaï) مدينة نوميدية، تقع على ضفاف وادي بورغال الذي ورد ذكره باسم ابيقاس (Abigas)عند المؤرخ بروكوب(PROCOPE, BELL., II, 29)، في السفح الشمالي لجبل الأوراس(Lissoir, 1777 : 52)في المكان الذي يُعرف إلى اليوم باسم قصر باغاي(Trousset, 1991: 1)، أو ''قصرالكاهنة'' حسب سكان المدينة حاليا، تظهر أطلال هذه المدينة في المنطقة الممتدة بين سفوح جبل الأوراس وبحيرة الطارف، على طول ثمانية كيلومتر (Toulotte, 1894 :55)،هي حاليا بلدية من ولاية خنشلة (ماسكولا قديما)(شكل رقم1)، تبعد عنها بحوالي اثني عشر كيلومترا(Decret, 1996: 112).

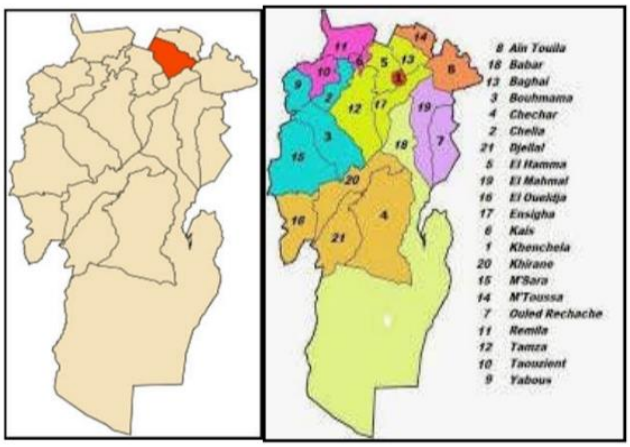

شكل رقم1: خريطتان تمثلان التقسيم الإداري لولاية خنشلة يظهر ضمنها موقع بلدية باغاي التي لُونت باللون الأحمر.

موقع وتسمية مدينة باغاي

المصدر: د.سعيدة أويحي، مدينة باغاي، قلعة الدوناتيين، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد03، العدد01، شهر جوان 2021م،ص76.

الفصل الرابع

-ثورة فيرموس:

-علاقة الدوارين بثورة فيرموس:

-ثورة جيلدون:

-علاقة الدوارين بثورة جيلدون:

1- ثورة فيرموس (372) م – 375 م):

أ- ماهية ثورة فيرموس:

في المجال الجغرافي الذي استعصى على الإحتلال الروماني إندلعت ثورة فيرموس(Firmus)من سنة 372م إلى غاية 375م ويتمتع هذا المجال بنوع من الاستقلالية؛ كانت تسكنه بعض الأسر العريقة اتي وصفتها المصادر التاريخية بالملكية(Regulis) " والتي كانت تربطها علاقة مع الحاكم الروماني، ومن أشهر تلك الأسر نذكر أسرة "فيرموس (Firmus) "بن "نوبل " (Nubel)، والتي كانت تسيطر في تلك الفترة على منطقة واسعة من موريتانيا القيصرية.[1] والتي تمتد من جيجل إلى لمباز شرقًا إلى (قرطنة (Cartenna) تنس غربا، وأوزيا ومسيلة جنوبا [2]. (أنظر الخريطة رقم 03صفحة (..)

إن فيرموس * تزعم الطبقة المسحوقة من رعايا مدن موريتانيا القيصرية وزعماء النحلة الدوناتية المناهضة للسلطة والثوار الريفيين. وأصبح هذا الأمير في نظرهم كفرصة لتحقيق طموحاتهم. وبهذا تمكن فيرموس من جلب الثأر الذي أحدثته ثوراته.

وقد حضيت حركته للاهتمام الواسع من طرف الكتاب المعاصرين، ودونوا بذلك أخبار الأحداث التي تخللت تلك الثورة، وشيئا من الأساليب السياسية التي عالج بها الرومان الوضع بالإضافة إلى انطباعات بعض الكتاب حول الآثار التي أحدثتها هذه الحركة في أواسط المجتمع الريفي والحضري الذي كان عرضة لنشاط رجال الدين الذين تصارعوا حول زعامة الكنيسة.

---

[1]– بوقفة نور السادات ، سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها، رسالة ماجيستار في التاريخ الثقافي و الاجتماعي المغاربي عبر العصور ، المرجع السابق ، ص 288.

[2]– مُحَمَّد الهادي حارش ، ثورة فيرموس(372م –375م)،مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، ع7،1993م،ص.11

*– فيرموس: اسم من اصل لاتيني حسب ما تذكره اغلب المصادر ، وهو احد ابناء الملك نوبل،كان حاميا ومعترفا به للدوناتية خلال تمرده ودخل الاسقفية المنشقة ، للمزيد انظر:ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص635.

.

ونذكر من بين هؤلاء الكتاب أميان "مارسلان" (AmmienMarcellin)*الذي يُعد مصدرا أساسياً لهذه الثورة.

إن ثورة فيرموس تركت بصمتها في الوثائق الأثرية (النقوش) التي تضمنت معطيات هامة أكدت مضامين المصادر الأدبية ونذكر من بينها النقيشة التي عثر عليها في الكنيسة التي أنسبت إلى إحدى القديسات بالمقبرة الشرقية لتيبازة المدعوة "صالصا(Salsa) ، واتي نصت على ما يُفيد طمع فيرموس في كرسي الإمبراطور، بالإضافة إلى نقيشة روسكانيا (Rusgunia)برج البحري (حاليا)، التي تعود إلى القرن الرابع ميلاد، والتي تتضمن اسم والد فيرموس فلافيوس "نوبل Flavius) " (Nubelالذي كان قائدا لوحدة عسكرية من المساعدين، بالإضافة إلى العثور على نقيشة أخرى بوادي الشلف بموقع حصن تيقافا كاسترا (Tigava Castra) بين مدينتي عين الدفلى والشلف)، والتي نصت على سيطرة فيرموس في المنطقة وغيرها،ويدل توزيع الوثائق المذكورة على الأقاليم المتباعدة على إنشار حركة فيرموس ونجاحها في السيطرة على المقاطعات القيصرية.[1]

ب– أسباب ثورة فيرموس:

ومن بين الاسر التي كانت تتعامل مع الحكام نذكر أسرة "نوبل (Nubel) "التي كانت تتعامل مع الحاكم الروماني، إلا أن "نوبل" كان يحتل مكانة هامة في حضن المقاطعة وكان الملك الأكثر تأثيرًا على القبائل الموريةّ[1]، وبعد وفاته حوالي سنة 370م ترك العديد من الأولاد من زوجته ومحظياته، نذكر من بينهم فيرموس (Firmus) و جيلدون (Gildon) ماكزيسيل (Macsizel)

---

* – اميان مارسلان : ولد حوالي 320م باحدى المدن الكبيرة التابعة للامبراطورية الرومانية ، وهي مدينة انتيوش وتوفى في 390م بروما ، قاتل لفترة طويلة في المانيا و بلاد الغال ، ورافق الامبراطور جوليان في رحلته الاستكشافية الى بلاد فارس للمزيد ينظر:

- ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ، المرجع السابق ،ص638.

[1]– مُحَمَّد البششير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، بحث في منظومة التحطم العسكري الليمس الموريتاني و مقاومة المور ، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص–ص 354–356.

[1]– عمران عبد الحميد ، الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور (180–430م) المرجع السابق ، ص264.

زاماك أو سوماك (Sommac\Sammac) ديوس (Dius) و مازوكا (Mazuca) وشقيقتهم كيريا (Cyria) هي المرأة الوحيدة المعروفة في الأسرة والتي امتلكت كنوزا هائلة، كما لعبت دوراً ناشطا كداعية من خلال توزيع الأموال على السكان لتعزيز دعمهم لشقيقها فيرموس.

و يظهر لنا وفقًا لرواية أميان مارسلان والمؤرخين المعاصرين له، أنهم قد ألقوا مسؤولية نشوب هذه الثورة على الكونت "رومانوس *(**Conte Romanus**) الذي انهم بجلب هذه المتاعب للإمبراطورية[1]، بحيث عمل على إثارة الفتنة وزرع الفرقة بين أبناء نوبل (**Nubel**) [2]، من خلال مساندته لزاماك (**Sammac**) ووقوفه ضد أخيه فيرموس، مما دفع بهذا الأخير لقتل شقيقه. الأمر الذي تسبب في شقاق وحرب نتيجة لانتقام رومانوس من مقتل حليفه،الذي كان شديد الارتباط به والذي كان ربما عميلا له،و هذا ما يعد السبب الرئيسي لهذه الحرب، أما الأسباب الخفية لهذه الحرب تعود إلى عمل الإدارة الرومانية على تحريض المور ضد بعضهم البعض و ذلك بهدف إشعال حروب أهلية، كالتي عرفتها مملكة نوميديا خلال عهد الملك يوغرطة مع أبناء عمه عام 105 ق-م[3] حيث انحاز "رومانوس" إلى الأمير زماك (**Sammac**) *ضد فيرموس الذي حسم الأمر بإغتيال أخيه "زاماك"، تماما كما وقع لأذر بعل على يد يوغرطة سنة 112م.[4] ما دفع بذلك بطلب أنصار "زاماك (**Sammac**) "بمعاقبة فيرموس الذي بدى مجرما في نظرهم وفي نظر القانون الروماني. إلا

---

* رومانوس : حاكم روماني اشتهر بسلوكه المشبوه ، حيث اشتكى منها الرعايا مدينة طرابلس ،، ولبدة ، ومن شؤون تصرفاته حيث حرف حقائق اللجنة التي فوفدها الامبراطور فالنتيانوس الى عين المكان ، للمزيد انظر: مُحَّد البشير شنيتي ، تغيرات الاقتصادية والاجتماعية ، مرجع سابق ، ص358.

4- مُحَّد الهادي حارش ، ثورة فيرموس ، المرجع السابق ، ص11

5- حمودي نبيلة ، الدوناتية و دورها في مقاومة الرومان خلال القرنين الرابع والخامس ميلادي ،المرجع السابق ، ص 43 .

3- ابوبكر سرحان ، المقاومة الوطنية المورية للاحتلال لاروماني (40-429م) ، مجلة الدراسات الافريقية ، ع 48، جويلية 2017م ، ص51 .

*- ساماك : ابن نوبل من احدى خليلاته ، ارتبط مع الكونت الروماني رومانوس الذي قام معه علاقة صداقة قوية وهو ما شكل خوفا عند ابناء من تقدم صاماك عليهم في الزعامة فتم اغتياله في ظروف غامضة ، ما نتج عن ذلك صراعات دامية ، للمزيد انظر :عمران عبد الحميد، المرجع السابق ، ص264.

4-مُحَّد بشير شنيتي ، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ، ج2، المرجع السابق ، ص 359.

أن هذا الأخير كان قد حظي بمكانة قوية عند قومه الموريين الذين رأوا في مناصرة الرومان الزاماك" تدخلا في شؤون الأسرة الموريتانية[1].

ومن بين المؤرخين الذين كتبوا عن المغرب القديم نذكر مُحَّد الهادي حارش الذي تطرق إلى الأوضاع التي كانت عليها إفريقيا و التي شهدت صراعا دينيا قسم المنطقة إلى معسكرين معاديين؛ الأول كان من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، والثاني من الدوناتيين المنشقين الذي كان معظمهم من الأهالي، وأعطوا لهذا الصراع طابعا عرقيا ودينيا، وأن

الانشقاق كان بالنسبة لهم كفرصة للوقوف ضد العبودية حيث عملت على زرع الأمل فحدث تحالف بينهم و بين فيرموس.[2]

وبعد اعتلاء "فالريان" (**Valerian**) سنة 364م الحكم، سادت الفوضى بين الموظفين وعم الفساد بين صفوفهم على مختلف مستوياتهم، نذكر على سبيل المثال "رومانوس"، ومع استمرار الاستنزاف الاقتصادي وتبني روما لسياسة التهميش الداخلي تحالف العديد من القبائل مع الثورة، وذلك دليل على استيائهم من الوجود

الروماني فمن الواضح أن هذه الثورة كما تلمح لها الروايات انها حدثت سنة 372م، إلا أنه هناك من يرجعها إلى فترة أسبق أي إلى سنة 370م بعد أحداث لبدة.

ج-الإطار العام لثورة فيرموس وعلاقتها بثورة الريفيين:

يمتد الإطار الجغرافي الذي شملته ثورة فيرموس حسب المؤرخ مُحَّد الهادي حارش من (جيجل ولمباز شرقًا إلى تنس الشلف) غربا وأوزيا (Ozia) ومسيلة جنوبا[3].

1- ابو بكر سرحان ، المرجع السابق ، ص 52 .

2- مُحَّد الهادي حيرش ، ثورة فيرموس ، المرجع السابق ،ص12.

3-مُحَّد الهادي حارش ، ثورة فيرموس ، المرجع السابق ،ص11.

أما "غبريال كاميس (G.Camps) "فهو يرى أن الثورة تركزت في أماكن أخرى مثل أوزيا (سور الغزلان، أو مالي سابقا)، والتي كانت تقاطع طرق ذات أهمية لمدن الساحل مثل إيكوزيوم (Icosium)و روسوكونيا (Rusugunia) و روسوكورو (Rusucuru) وتوبوسوبتو (Thubusupto)وصالداي(Saldae) ، وذات أهمية أيضا للمدن التي تتواجد بوادي الشلف (Chélif)مرورا عبر رابيدوم (Rapidum) و تانزاموسا (Thanzamusa) الواقعة في الجير (Limes)على المسارات الصعبة لجبال التيطري (Titteri) مع سيتيفس '(سطيف حاليا) أخيرا عبر جبال البيبان) (Setifs)، وفي بداية ثورته بدء فيرموس بمهاجمة عاصمة مقاطعة موريتانيا القيصرية مدينة قيصرية) (Caesarea) إيول – شرشال)، حيث أمر أخاه مازوكا (Mazuca) باقتحامها وإضرام النار فيها [1]، والاستيلاء على مدينة (إيكوزيوم) (Icosium) الجزائرحاليا، وحصار تيبازة (Tipaza)لكن دون جدوى، في حين استولى أتباعه على كارتينا (cartenna) (تنس حاليا)[3].

ومن خلال ذلك تمكن فيرموس من السيطرة على المنطقة الشرقية من موريتانيا القيصرية الأمر الذي أثار الهلع والخوف في صفوف الجش الروماني، فسارع الإمبراطور فالنتيان الأول (**264**) (ValentienIم – 375) لإرسال الدوق ثيودوسيوس *(Theodosius) إلى إفريقيا للقضاء على فيرموس وحلفائه.

وخلال بلوغ ثيودوسيوس لميناء جيجل عام 372م، تلقى مساعدة من جيلدون Gildon شقيق فيرموس،وجهز جيشا خاصا به، ودعا أعضاء مكاتب مختلف الحكومات المدنية والعسكرية

---

[1]-ربيع عولمي ، المرجع السابق ، ص632.

[3]– المرجع نفسه،ص 635.

*– ثيودوسيوس : سياسي روماني وقائد عسكري خلال القرن 4 م ، ولد في اسبانيا ، اشتهر بحرب المؤامة الكبرى (367–368م) قاد جيش الفرنسان في زمن الامبراطور فلانتين الاول ، اعدم سنة 376م على يد غراتيان .للمزيد انظر : منصوري خديجة ،الدوناتية و الثورات القرن الرابع في شمال افريقيا ، المرجع السابق ، ص271.

للانخراط في الجيش الروماني، كما أجبر المندوبين القادرين على حمل السلاحللالتحاق بهم، ليشن حربا ضد فيرموس والتي دامت مدة ثلاث سنوات تراوحت بين الإنتصار والهزيمة بين الطرفين المتصارعين.[1]

أولا: مراحل ثورة فيرموس:

لقد مرت ثورة فيرموس بعدة مراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى:

بعد نزول ثيودوسيوس في ميناء جيجل قام بعزل رومانوس من قيادة العمليات، وكلفه بحراسة الحدود المتاخمة لمقاطعة قيصرية، وفي نفس الوقت عين جيلدون شقيق فيرموس والقائد "ماكسيموس " (Maximus)لتولي مهمة إلقاء القبض على " فينيكينتيوس(Vincentius) "باعتباره شريك "رومانوس" في أعماله التعسفية، وتوجه بذلك إلى سيتيفيس (Sitifis) (سطيف) واتخذها قاعدة له بعدما احتلها[2].

ويظهر أن ثيودوسيوس كان متخوفا في البداية، حيث أنه لم يتعود هو وجيشه على المناطق التي تكثر فيها السلاسل الجبلية، والبحيرات والأحواض خاصة تلك المناطق الواقعة بين سيتيفيس (سطيف) وايول (شرشال) بين الأطلس الصغير والأطلس الكبير. وهذا ما جعل الملك فيرموس يختار هذا الموقع ليكون مسرحا للحرب، والذي اعتمد فيها على تقنية حرب العصابات [3].

---

[1]- منصوري خديجة ، المرجع السابق ، ص254.

[2]- منصور خديجة ، المرجع السابق ، ص-ص 254-255.

[3]-ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم، المرجع السابق، ص688.

اتجه بذلك ثيودوسيوس إلى مدينة ثوبوسيكتو *(Tubusuctu) وتواجه هناك مع قبيلتي تيندن* (Tyndenses) وماسينسيسن (Masinssenses) ***والتي كانت تحت قيادة "ماكزيسيل" و "ديوس" أخوي فيرموس وتمكن بذلك من التغلب عليهم.

واتجه نحو تيبازة، ثم شرشال وصولا لمنطقة القبائل ربما ضواحي قصر "كبوس" قصر شبال وواد سباعو (Sibaou) " إلى غاية سهل متيجة عن طريق الثنية بني عائشة [1]وبعد أن أدرك فيرموس أن الوضع قد تغير، حاول التعامل مع ثيودوسيوس وطلب الصلح من خلال بعض الكهنة المسيحيين، واشترط ثيودوسيوس تقديم بعض الرهائن، وتمكن من استعادة إيكوزيوم (**I**cosium)، ثم ذهب ثيودوسيوس إلى قيصرية ووظف جحافله لرفع تلك المدينة من تحت الأنقاض، واستدعى جميع قواته إلى موقع قريب من سطيف، يسمى "بانكريانا" (Panchriana)، ثم توجه نحو "توبوسوبتو"، وبعد اصطدامه مع قبائل "تيندن" و"ماسينسيسن" احتل بذلك على حصن "لامفوكتونيس" (OppidumLamfectens) *وبالتالي يُحتمل أن تكون قريبة من "بيترا" واستولى بذلك على الموارد الغذائية لتموين مخازنه.

المرحلة الثانية:

وخلال هذه الاحداث، كان فيرموس يسعى لإثارة القبائل مرة أخرى، ولما علم ثيودوسيوس بالأمر توجه من قيصرية نحو بلدة "زوكابار""**Zuccabar** "(مليانة حاليا) الواقعة في منتصف الطريق فوق جبل ترانسلينسيس" وأمر بإعدام فرسان الكتيبة الرابعة المسلحين بالسهام وبعض المشاة من فيلق فلافيا وكاتريكس القسطنطينية(**Flavia Victix Constantinia**) ، بسبب

---

*- ثبو سيكتو : هي مدينة تيكلات تبعد حوال ي15كم ضواحي مدينة بجاية ،انظر ربيع عولمي ، مرجع السابق ، ص633

*** ماسينسيسن: هم اليوم قبيلة ماسنا او امسيسن ، يتمركزون في الضفة ليمنى للواد الساحل ، انظر المرجع السابق ، ص 161

[1]-منصوري خديجة ، المرجع السابق ، ص- ص 255-256.

*لامفوكتونيس: حاول تحديدهم بخرائب مسناوتة عند قبائل بني واغلي على نهر غمنو ، قرب قرية بوملال ، انظر الربيع عولمي ،المرجع السابق ، ص635.

إنضمامهم إلى قوات فيرموس، وإعدام "بالانس (**Bellenes**) "وهو أحد قادة المعازيس، و "فريكيوس (**Fercius**) "الذي كانت روما عينته حاكما على هذه القبيلة بسبب تأييدها لفيرموس [1].

انتقل ثيودوسيوس إلى "تيغافا" ثم إلى كاستولوم طنجيطانوم (الأصنام – الشلف حاليا) حيث التقى بالمعازيس وقتل كل من لم يستطع الفرار منه، ثم هاجم قبائل "الموزون (**Musonus**) "وعند وصوله إلى "أدنيس (**Adnesse**) "ضواحي مليانة علم ثيودوسيوس أن تحالفا رهيبا كان يتشكل ضده من شعوب مختلفة في العادات واللغة، وأثارت العاصفة فيه بتحريضات ووعود من "كيريا " (**Cyria**)شقيقة فيرموس التي كانت لديها كنوز هائلة وأظهرت كل عناد جنسها في جهودها لدعم شقيقها[2].

ثم فكر ثيودوسيوس في عدم تساوي الجيشين المتنافسين، بحيث أن جيشه يبلغ سوى 3500 جندي، وبهذا سوف يخاطر بخسارته وخسارة جيشه، فإضطر للتراجع إلى الوراء بسبب إندفاع الجماهير التي كانت أمامه، وتمكن من اكتساب ملكية "مازوكا" دون التعدي عليه تحت أسوار تيبازة في فبراير سنة 374م.

ويشير أميان مارسلان في كتاباته أن ثيودوسيوس قضى فترة طويلة في تيبازة بالعمل في الخفاء المحاولة كسب حلفاء فيرموس إلى طرفه، حيث قام بإغرائهم بالمال، وأحيانا أخرى بالتهديد.

وفي بعض الأحيان بالتسامح عن التجاوزات التي ارتكبوها سابقا، وهي تشبه العملية التي استخدمها "بومبي" ضد (**Mithridates**) سابقا.

---

[1]–منصوري خديجة ، المرجع السابق ، ص257.

[2]–ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم، المرجع السابق ، ص688.

المرحلة الثالثة:

إنّ فيرموس كان متخوفا من نجاح ثيودوسيوس في كسب تأييد بعض القبائل تراجع وهرب إلى جبال "كابرار يانسيس(**Montes Caprarienses**) "، هذا الهروب الذي استغله الجيش الروماني حيث تمكن من خلاله على احتلال معسكر فيرموس ونهبه. ثم واجه ثيودوسيوس بعد معركة خاضها ضد القبائل الإثيوبية المتواجدة بالمنطقة مما دفعه للتراجع[1].

وبعد وقت قصير من استئنافه للهجوم تمكن من الإستيلاء على مدينة "كونتينسيس " (**Contensis**)التي كان قد اختارها فيرموس لإنشاء مستودع للسجناء وذلك لبعد موقعها وصعوبة مقتربتها، وطالب ثيودوسيوس من قبيلة "إسفلانسيس (**Iseflanses**) "بتسليم فيرموس وبعد رفضهم أعلن الحرب على القبيلة، ووقعت بينهم حرب دامية، فقام ثيودوسيوس بكسر القبيلة[2].

المرحلة الرابعة:

وللإشارة فان قبيلة "إسفلانسيس" (**Iseflanses**) تعرضت إلى خسائر كبيرة، إلا أن فيرموس تمكن من الهروب بفضل سرعة حصانه الذي تدرب على الركض بين الصخور والمنحدرات، أما شقيقه "مازوكا" (**Mazuca**) تم أخذه بجروح قاتلة، وأرادوا إرساله إلى قيصرية، لكنه تمكن من الإنتحار بتوسيع جرحه بيديه، وغرض رأسه المنفصل على أنظار سكان المدينة وحاول ثيودوسيوس محاربة قبائل "اليوباليني(**Jubaleni**) "، إلا أن طبيعة المنطقة الجبلية منعته من الدخول في مغامرة ليست لصالحه، وإضطر للعودة إلى "أوديانس" فرض"**Isalenses**(حيث قدمت له القبائل "إسالينسيس، (**Castalum Audiense**)الطاعة وزودت القوات الرومانية بالمؤن وبعض الفرق العسكرية، ثم اكتشف القائد الروماني بعد إقامة قصيرة بقلعة ماديانوم *"

[1]-منصوري خديجة ، المرجع السابق ،ص258.

[2]- Ammine (M.).Histoire de Rome livre XXIX,5,39,40.

* قلعة ماديانوم :في برج مجانا حاليا في منطقة برج بوعريريج للمزيد انظر ربيع عولمي ،المرجع السابق ، **ص**641.

(**Monimantum Medianum**)عودة فيرموس إلى قبائل "إسفلانسيس" وواجه "إغمازن (**Ighemazen**) "المعين من طرف روما ملكا على هذه القبائل على رأس 20 ألف رجل وهزمه، ثم عاد إلى "ديوديانس" (**Castalum Diodiense**) ضواحي سور الغزلان ثم عاد إلى سطيف[1].

المرحلة الخامسة:

وقد قام ثيودوسيوس بإستئناف الحرب ضد "إسفلانسيس"، بعد عودته إلى سطيف مرورا بأوبيدوم وبعد انهزام هذه القبائل ونظرا لحرص ملكها إغمازن على سلامة حياته وملكه تحالف مع ثيودوسيوس، وساعده في محاولة القبض على فيرموس، حيث طلب من القائد الروماني تكثيف هجومه ضد أفراد قبيلته مقابل أن يترك له حرية التصرف.

وخلال المعركة التي كانت قائمة بين الجيشين، حاول فيرموس الفرار لكن تمكن إغمازن من القبض عليه، وهذا ما دفع بفيرموس للانتحار وحرم إغمازن من شرف تسليمه حيا لثيودوسيوس الذي بعد أن تأكد من جثة فيرموس عاد إلى سطيف[2].

وما نستنتجه ان ثورة فيرموس قد مست اراضي شاسعة، وامتدادها كان من التل الوهراني إلى سطيف نوميديا شرقا مروا بموريطانيا القيصرية و حوض الشلف، وجبال الونشريس، ومنطقة القبائل،وقد بلغت منطقة الحضنة والصحراء، وهذا يدل الى التلاحم الاجتماعي بين مختلف القبائل التي ساهمت في هذه الثورة،إذ أن الدوارين قد شكلوا سندا قويا لثورة فيرموس.

---

[1]-منصوري خديجة ،المرجع السابق ،ص –ص258 –259 .

[2] – المرجع نفسه ،ص **259**

د-ارتباط ثورة فيرموس بثورة الريفيين:

شهدت افريقيا خلال ثورة فيرموس إضطرابات مست كل المنطقة تقريباً، بحيث تمكنت من تهديد أهم الأقاليم الرومانية، خاصة وأن إفريقيا كانت الممون الرئيسي لها بالقمح إلى جانب مصر، فتمكن فيرموس أن يكسب في وقت قصير ثقة الأهالي، ولم يُعلن فيرموس الحرب ضد الرومان إلا بعد أن تلقى الدعم منهم، علما أنهم كانوا ينتظرون الفرصة اللازمة للتخلص من الاضطهاد المسلط عليهم من طرف السلطة الرومانية، فانضم إليه بذلك كل من الدوارون والدوناتيون وقدموا له الدعم اللازم للتخلص من عبودية وإضطهاد الرومان[1].

وقد كان الدافع الكبير الذي شجع القبائل على الإلتفاف حوله وتأملهم في اقتراب ساعة الخلاص النهائي من السيطرة الرومانية[2].

إنّ إحتقان كبير بين السلطة الرومانية والإنشقاق الذي من الكنيسة، هو الذي ولد هذه الثورة فإختارت السلطة بالإنحياز إلى الكنيسة الكاثوليكية، أما الدوناتية فقد عانت من أشد العقوبات التي ألحقت بها، فتحالفوا مع فيرموس لهذا الغرض، كما تحالف فيرموس معهم، حيث أن طموحاته الإستقلالية كانت ذات طابع إنتقامي اشتركت مع طموحات الدوناتية الدينية والسياسية وكذا طموحات الدوارين الاجتماعية ضد عدو مشترك، وهو السلطة الرومانية، فتمت بذلك تسميتهم (بالفيرمانيين) بمعنى رجال فيرموس.حيث رأى فيرموس في الدوناتية وأتباعها الريفيين معيناً بشريا، وجند منهم جيشا كان بأشد الحاجة إليه، كما هو حال أسقف مدينة روسوبيكاري الدوناتي الذي عبد الطريق لفيرموس، فتمكن هذا الأخير من الاستيلاء على مدينة ساحلية تابعة له، ورأوا فيه القائد العسكري الذي ينشدونه [3]تطلب

---

[1]- اويحي سعيدة ، الديانة المسيحية في المغرب القديم من نهاية القرن الثاني الى بداية القرن الخامس ميلادي (180-411م) / المرجع السابق ، ص233.

[2]-زموري خديجة ، المرجع السابق ص168

[3]- محمد البشير شنيتي ،الجزائر في ظل الاحتلال الروماني ج2،المرجع السابق ، ص361.

القضاء على ثورة فيرموس شن خمس حملات عسكرية ضدها، والتي قادها القائد ثيودوسيوس بأمر من الإمبراطور فالنتيان، وبعد تلك الحملة الشرسة والتي تضمنت حرق الممتلكات وبيع الأسر للمرتزقة وأسر النساء بهدف عزل الأهالي عن الثورة، وبهذه السياسة تحققت رغبة روما من القضاء على ثورة فيرموس.

وبعد أن نقل ثورته إلى الونشريس و زكار والبليدة بعدما فقد كل ممتلكاته[1]، نتيجة لذلك دفع الدوناتيون والدوارون ثمناً باهضا لتورطهم في هذه القضية ، حيث فقدوا سندا قويا ومعبراً حقيقيا عن طموحاتهم التحريرية حيث لأن الإمبراطور فالنتيان الأول بإصدار قانون في خضملفيرموس، فتمكن هذا الأخير من الاستيلاء على مدينة ساحلية تابعة له، ورأوا فيه القائد العسكري الذي ينشدونه.

تطلب القضاء على ثورة فيرموس شن خمس حملات عسكرية ضدها، والتي قادها القائد ثيودوسيوس بأمر من الإمبراطور فالنتيان، وبعد تلك الحملة الشرسة والتي تضمنت حرق الممتلكات وبيع الأسر للمرتزقة وأسر النساء بهدف عزل الأهالي عن الثورة، وبهذه السياسة تحققت رغبة روما من القضاء على ثورة فيرموس، بعد أن نقل ثورته إلى الونشريس و زكار والبليدة بعدما فقد كل ممتلكاته[2].

نتيجة لذلك دفع الدوناتيون والدوارون ثمناً باهضا لتورطهم في هذه القضية ، حيث فقدوا سندا قويا ومعبراً حقيقيا عن طموحاتهم التحريرية حيث لأن الإمبراطور فالنتيان الأول بإصدار قانون في خضم المواجهات العسكرية بين فيرموس و ثيودوسيوس وذلك في 20 فيفري 373م موجها إلى بروقنصل إفريقيا يوليانوس (**JULIANUS**) ينص على منع و تحريم إعادة التعميد التي يمارسها الدوناتيون، ويأمر بعزل أي أسقف يُخالف القانون.

---

[1]- زموري خديجة ،المرجع السابق ، ص160.

[2]- سايغي دليلة ، خلوز كاتية ،حركة الدوارين (305-429م)،المرجع السابق ، ص 147.

وبعد وفاة الإمبراطور فالنتيان الأول خلفه ابنه غراتيانوس (**GRATIANUS**) وهو في سن الثماني سنوات، وواصل سياسة والده بصرامة أكثر، فأصدر مرسوما بدوره في 22 أفريل سنة 376م ينص على مصادرة الأماكن التي تعقد فيها اجتماعات المنشقين الدوناتيين كما أصدر عقوبات صارمة على كل من يتساهل معهم.

كما وجه مرسوما آخر لكاهن إفريقيا نيكوماكوس فلافيوس (**NICOMACHUS FLAVUIS**) في 17 أكتوبر سنة 377م، يؤكد فيه قرارات القانون السابق التي نصت على منع إعادة التعميد ومنح كنائس الأساقفة المنشقين المتهمين بإعادة التعميد إلى الكاثوليك مع مصادرة منازلهم وممتلكاتهم.

وبهذا تمكن ثيودوسيوس من تفكيك تحالف القبائل المورية ولو لفترة قصيرة، وكرست سياسة فرق تسد من خلال خيانة إيغمازن (**IGHEMMAZEN**) وإضعاف حيوية الحركة الدوناتية وحركة الدوارين.[1]

نستنتج مما سبق أن ثورة فيرموس كانت ثورة قومية تحريرية ذات أبعاد سياسية اقتصادية واجتماعية ودينية، حيث كان هدفها تحرير سكان المنطقة من الاستعمار الروماني واستعادة أراضيهم وممتلكاتهم. كما نلاحظ أن هذه الثورة كانت ذات أهداف مشتركة مع ثورة الدوارين وهو رد الاعتبار لسكان المنطقة الذين جردوا من حقوقهم[2].

---

[1]- ربيع عولمي ، المسيحية في المغرب القديم ،المرجع السابق ، ص-ص 644-646.

[2]- سايغي دليلة خلوز كاتية ، حركة الدوارين (305-429م)،المرجع السابق ، ص 148.

ثورة جيلدون:

يعد جيلدون ابن نوبل من أبرز الزعماء الموريين الذين واجهوا الرومان في شمال إفريقيا خلال أواخر القرن الرابع ميلادي، ولقد عيّن قائدا للجيش الروماني في إفريقيا اعترافا لما قدمه من مساعدة للقائد الروماني ثيودوز في حربه ضدّ فيرموس[1] وكان ذلك في حوالي 385م، وأصبح بعدها الحليف والسند الأوّل لروما في إفريقيا حيث ظلّت علاقته جيّدة مع الرومان حوالي اثني عشر سنة(375إلى387م)، لكنّ هناك ظروف وعوامل تاريخية متعددة ساهمت في تحول العلاقة بين الطرفين وبدأت تأخذ منحى آخر بداية بالقطيعة التي أظهرها جيلدون سنة 393م إلى غاية القضاء عليه سنة 398م[2].

أسباب حرب جيلدون:

أدرك جيلدون بعد سنوات من تحالفه مع الرومان أهمية الإنفصال عن روما التي ظلّت تطلب المؤونة والرجال، وبدا غير راض عن ذلك، منذ أن رفض إمداد الإمبراطور"ثيودز" بالمساعدات والمحاربين في حربه ضدّ عدوّه الوثني"أوجين"(Eugene) سنة 393م رغم الأوامر التي وجهها له وطلبات النجدة، وتعد هذه الحادثة أولى بوادر إنقلاب جيلدون على السلطة الرومانية و يعزى الدافع من وراء هذا إلى:

- رغبة جيلدون في تحقيق مكاسب مادية كبيرة خاصة حين أدرك حجم حصة القمح التي تستفيد منها روما سنويا فقرر أن يستأثر بحقول قمح إفريقيا لنفسه، وفقد تفطن إلى أهمية القمح الإفريقي خاصة وأنّ روما على حافة المجاعة فاستعمله كوسيلة حرب.

---

[1] أويحي سعيدة، ثورة جيلدون ضدّ الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا(393م-398م)، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 08، العدد الأوّل، أفريل 2024،ص 13،27.

[2] رزيق بن لحنش، الربيع عولمي، من ثورات قبائل موريطانيا القيصرية ضدّ السلطة الرومانية خلال الثلث الأخير من القرن الرابع ميلادي"ثورتي الأميرين فيرموس وجيلدون"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد06، العدد02، 2022م، ص88-103.

- طموح جيلدون في تأسيس مملكة مستقلة خاصة في ظل تحكمه في إفريقيا من شرقها إلى غربها وتحكمه في زمام الأمور فيها من عدالة ومال.
- موت الإمبراطور الروماني"ثيودوز" وانقسام الإمبراطورية بين ابنيه حديثي السن، أركاديوس إمبراطورا للشرق وهونيريوس الذي كان تحت رعاية"ستيليكون" إمبراطورا للغرب.
- الضعف الذي بلغته الإمبراطورية الرومانية خلال نهاية القرن الرابع ميلادي في المقابل شعر جيلدون بالقوة خاصة أنّه كوّن أموالا عظيمة، وكانت تحيط به فيالق المشاة وفرق الخيالة كمّا أنّه أغدق الأموال على شيوخ القبائل ممّا زاد من قوته[1].

وقد أقدم جيلدون خريف سنة 395م على تقليص كمية القمح التي كان يرسلها إلى روما كضريبة تموين سنوية"الحصة السنوية"(الأنونة) (bl è de l'annone)، وفي عام 396م قام بتوقيف إرسالها ممّا أثار الهلع في إيطاليا وأعلنت فيها حالة الطوارئ، واضطر القائد" ستيليكو" إلى إستيراد القمح بشكل مستعجل من مقاطعات غالية الداخلية.

ولقد أدّت الإجراءات التي قام بها جيلدون ضدّ روما إلى كسب تأييد شعبي واسع في أوسط سكان الأرياف الذين عانوا من الضرائب كضريبة المحاصيل السنوية(الأنونة)، فقد قام بتوزيع بعض أملاك الإمبراطور الروماني في نوميديا على السكان وسمح لهم باحتلالها، كما قسم ممتلكات الملاكين الكبار على الفلاحين والفقراء ممّا جعلهم ينضوون تحت لوائه بالإضافة إلى الثوار الريفيين(الدوارين)، وقد سعى جيلدون إلى كسب أكبر عدد من المؤيّدين والحلفاء لمواجهة الرومان، لذا حاول كسب دعم الدوناتيين المضطهدين، وما إن سيطر على الوضع في المنطقة أعاد الاعتبار للكنيسة الدوناتية، فأمر بتوقيف ملاحقة أتباعها وتهميش كل القوانين والقرارات التي صدرت في حقهم، وقد أسفرت الإجراءات التي اتخذها جيلدون لصالح الكنيسة الدوناتية عن كسبه تأييد أتباعها في الأرياف والمدن،

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص278،279.

كما أنّه لقي الدعم من طرف أسقف تيمقاد" أوبطا التيميقادي" الزعيم الحقيقي للدوناتيين في نوميديا.

وقد استطاع جيلدون بفضل حنكته وذكاءه أن يكسب تأييد مختلف أطياف المجتمع الإفريقي ويجمعه تحت قيادته، وذلك لتنفيذ مشروعه المتمثل في التخلص من التبعية لروما وتأسيس دولة مستقلة، فانضم إليه الموريون والنوميديون والدواورون والدوناتيون، ممّا أعطى ثورة جيلدون بعدا تحرريا ذا طابع إقتصادي وإجتماعي وديني[1].

أحداث الثورة:

بعد كل ما بدر من جيلدون ضدّ السلطة الرومانية أعلن"ستيليكون" حاكم إمبراطورية الغرب بالتشاور مع مجلس الشيوخ أن جيلدون عدوٌ للشعب الروماني، وقد أدركت روما خطورة ما قام به هذا الأمير الإفريقي وقررت وضع حد له[2]، فقد أدرك القائد "ستيليكو" خطورة الحصار الإقتصادي الذي فرضه جيلدون على روما، لذا أمر بمحاربته قصد القضاء عليه، وأوكل قيادة الجيوش الرومانية المرسلة إلى إفريقيا إلى ماكسيزال(Macsizel) أخ جيلدون وقد جاء [3]، أمّا في الجهة المقابلة نجد أنّ الأمير جيلدون قام هو الآخر بالعديد من التحضيرات استعدادا للمواجهة مستغلا منصبه ككونت لإفريقيا، حيث استطاع جلب العديد من أفراد الجيش الروماني المرابط في نوميديا، ووجه الدعوة لمختلف قبائل بلاد المغرب القديم، كما تمكن من تجنيد العديد من الأفراد التابعين للحركة الدوناتية، وحسب المؤرخ بول أوروز فإنّ جيلدون كان قد جهز جيشا قوامه حوالي سبعون ألف جندي، وفي ربيع سنة 398م التقى الجيشان في معركة بالقرب من واد أرداليو(Ardalio) بين مدينة تيفست(تبسى حاليا) وأميدرا(حيدرة)، إذ لم تدم المعركة طويلا فسرعان ما انتهت لصالح جيش

---

[1] أويحي سعيدة، ثورة جيلدون ضدّ الاحتلال الروماني في شمال إفريقيا(393م-398م)، المرجع السابق ص13،27.

[2] رزيق بن لحنش، الربيع عولمي، من ثورات قبائل موريطانيا القيصرية ضدّ السلطة الرومانية خلال الثلث الأخير من القرن الرابع ميلادي"ثورتي الأميرين فيرموس وجيلدون"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد06، العدد02، 2022م، ص88-103.

[3] أويحي سعيدة، المرجع نفسه، ص 13-27.

ماسكيزال الذي تمكن من القضاء على مختلف القوات التابعة لجيلدون فقتل بعضها وفرّ البعض الآخر، أمّا الأمير جيلدون فقد اتجه إلى طبرقة وحاول الفرار عبر البحر لكن قوات أخيه ماسكيزال تمكنت من إيقافه في 31 جويلية 398م أين قتل أو انتحر[1]، ورغم وثنية جيلدون فإنّه دفن في أحد المعابد المسيحية وذلك كتكريم له ويُعتقد أنّ هذا التكريم كان من طرف الدوناتيين لما لمسوه فيه من مقاومة وتعبير عن طموحاتهم في مقاومة الرومان فنال ذلك التكريم واعتبر شهيدا، كما تمّ القبض على الأسقف" أوبطا التيموقادي" الذي مات في السجن، أمّا انهزام جيلدون كان لعاملين:

-التخاذل من طرف عناصر جيشه، وبحسب المؤرخ جوليان أنّ بعض شيوخ القبائل قد تخلى عن القتال لما كانت الحرب لما اشتدّت الحرب بعدما اشتريت ذممهم.

- قلة كفاءة وخبرة جيش جيلدون أمام جيش روماني مؤهل خاض عدّة حروب وله تجربة عسكرية، فجيش جيلدون لم يكن يملك إلّا القليل من الأسلحة وهي عبارة عن سهام ورماح يمكن أن تتحطم تحت أقدام الخيول عكس جيش"ماكسيزال" المدجج بالأسلحة[2].

نتائج حرب جيلدون:

بوفاة جيلدون قامت السلطة الرومانية بإصدار مجموعة من القوانين لمصادرة أمواله وأمواله حلفائه منها قانون 13 مارس 398م القاضي بمتابعة المفترين من أنصار جيلدون من الدوناتيين واشتدّ القمع ضدّهم[3]، وحجز أموال جيلدون درّ على خزينة روما أرباحا كبيرة أوجبت تعيين متصرف خاص بها[4]، ممّا يدل على قوته وثروته وانتشارها في العديد من مناطق المغرب القديم، ويدحض

---

[1] رزيق بن لحنش، الربيع عولمي، من ثورات قبائل موريطانيا القيصرية ضدّ السلطة الرومانية خلال الثلث الأخير من القرن الرابع ميلادي"ثورتي الأميرين فيرموس وجيلدون"، المرجع السابق، ص 88-103.

[2] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص280،281.

[3] سعيدة أويحي، المرجع نفسه، ص 13-27.

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 306.

الإدعاء الروماني الذي ير أنّ الثورات المرتبطة بالحركة الدوناتية أو تحالفت معها كانت بفعل الفقر والعوز أو بدافع اللصوصية والنهب.

نهاية أسرة موريطانية كبيرة كانت قد استفادت من النظام الإمبراطوري لتلعب دورا سياسيا في موريطانيا القيصرية وهي أسرة "آل نوبل"، إلّا أنّ ثورة جيلدون قد عززت فكرة الإستقلال السياسي لإفريقيا[1].

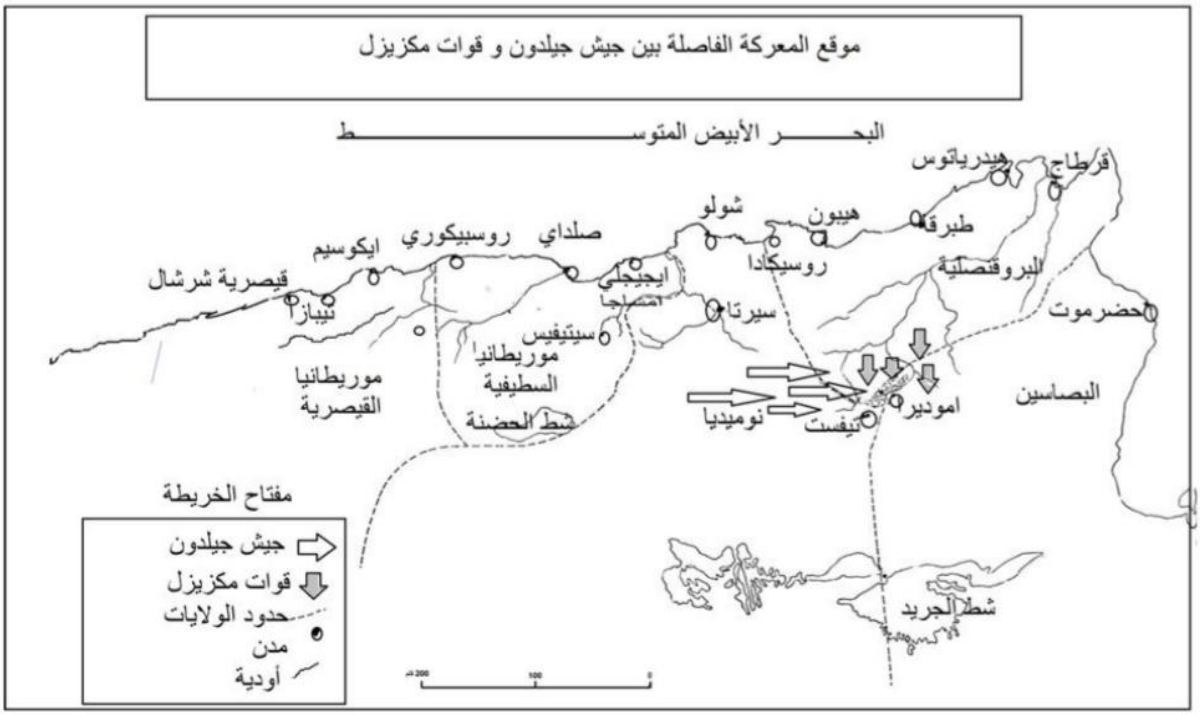

المصدر: عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص283.

[1] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 284.

ثورة جيلدون وعلاقتها بثورة الريفيين:

لقد تلق جيلدون الدعم والمساندة في ثورته من بعض الأساقفة الدوناتيين من أبرزهم أوبطاتوس أسقف كنيسة تيموقادي الذي كان مستشارا له، ولعب دورا بارزا في قيادة الرجال وتجنيد فرق من الدوارين لتدعيم جيلدون لذلك لقب ب"الجيلدوني"، ورغم العلاقة التي أقامها جيلدون مع الدوناتيين إلّا أنّه بقي وثنيا حتى موته[1]، لوم تكن مساندة الدوناتيين وأتباعهم من الدوارين لجيلدون من منطلق ديني بل كانت ردّ فعل عن الظلم والتضييق الذي تعرضوا له إضافة إلى رفضٍ للأوضاع الإجتماعية والإقتصادية التي أفرزتها السياسة الرومانية التي عملت على إستنزاف ثروات المغرب القديم، ونظير الدعم الذي تلقاه جيلدون من الدوناتيين فقد كافأهم وأتباعهم من الدوارين بتوقيف متابعة الدولة لهم وتهميش المراسيم التي أُصدرت في حقهم، كما قام بمنع الجيش من تنفيذ تلك المراسيم، وليس هذا فقط فقد فضل جيلدون الدوناتيين عن خصومهم[2].

وقد حاول جيلدون من خلال ثورته استغلال الظروف التي كانت تمر بها الإمبراطورية الرومانية للإنفصال عنها، غير أنّ دهاء وخبث الرومان نجح في ضرب الإخوة ببعضهم البعض، وهنا نفهم أنّ الرومان كانوا عاجزين عن مواجهة مقاومة السكان الأصليين وجها لوجه، فكانوا يضربون الإخوة والزعماء فيما بينهم، كما عملوا عل إشعال الفتن والأحقاد بينهم، وبالتالي يسهل على القوات الرومانية السيطرة على البلاد واخماد الثورات وتطويق حركات التمرد[3].

---

[1] ربيع العولمي، المرجع السابق، ص655.

[2] عمران عبد الحميد، المرجع السابق، ص 154.

[3] أويحي سعيدة، المرجع نفسه، ص 13-27.

نلاحظ أنّ ثورتي فيرموس وجيلدون كانت من الثورات التي ميّزت القرن الرابع ميلادي، حيث تحولت من ثورات إجتماعية إل حركات ذات مطالب تحريرية ودينية خاصة بعد تحالفها مع الدوناتية وثورة الريفيين، وذلك لمواجهة الكنيسة الرسمية والسلطة الرومانية[1].

[1] ربيع العولمي، المرجع السابق،ص660.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي الأخير نستخلص بعض النتائج التي تختم بها موضوعنا و هي بإيجار كما يلي:

إن الأوضاع التي كان يعيشها سكان المغرب القديم قبل ظهور حركة الدوارين تحت سلطة الرومانية أوضاع سادها الظلم و الطبيقية و سيطرة العنصر الروماني الدخيل وأصحاب النفوذ و الأموال على الفلاحين والسكان البسطاء و الضعفاء وقد ظهرت قوانين جائرة تتمثل في فرض الضرائب و قيود ربطت المزارعين وجعلتهم عبيد لدى السلطة الرومانية وكانت عبادة الأوثان منتشرة وخاصة عبادة الأباطرة الرومان إلى غاية ظهور المسيحية ودخولها إلى بلاد المغرب القديم عن طريق عدة وسائل نذكر منها (الحواريين عبر بعثاتهم التبشيرية و عن طريق التجار...).

ومما ساعد على توغل الديانة المسيحية نذكر عدة عوامل منها : الإجتماعية والإقتصادية والدينية، بالرغم من المصاعب التي إعترضت طريقها، إلا أنها لقيت إقبلا واسعا من طرف الطبقات البسيطة من الفلاحين و العبيد الذين سكنوا المنطقة حيث وجدوا في هذا الدين الجديد الراحة النفسية و الإطمنان الروحي،إذ أنها اعادت الإعتبار، ورفعت من شأن النفس البشرية في رسالتها التبشيرية، وقد كان للمسيحية عدة مذاهب،ولكل منها مبادءه وأتباعه نذكر منها المذهب الدوناتي.

إن عدم إعتراف المسيحية بعبادة الأوثان جر عليها عواقب وخيمة من طرف السلطة حيث ابدت هذه الأخيرة سخطها من هذا الدين، بينما سارع السكان إلى الدخول إلى

هذا الدين وتزايد عددهم تدريجيا، و مما جعل الهوة تتسع أكثر، والصراعات تتأجج بين الفئات الإجتماعية نتيجة السياسة المنتهجة من طرف السلطة ، وحصر الثروة في أيادي الأغنياء و الملاك المتحالفين معها على حساب البسطاء و السكان المدن و الأرياف خلال القرنين الثاني و الثالث للميلاد.

إن اعتناق بعض سكان المغرب القديم جعلهم يتعرضون للإضطهادات التي بدئت من عهد "نيرون "وقد كان سببها الأساسي، هو عدم قبول المسيحيين المجندين القيام بالخدمة العسكرية نظرا لمبادئها السامية التي تندد بقتل الروح البشرية، فقام الحكام بهدم الكنائس، وحرق الكتب المقدسة، فتواصلت هذه الإضطهادات من قبل الاباطرة الذين أتوا من بعدهم.

وبعد تولى قسطنطين الحكم، وتم الإعتراف بالديانة المسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية،حيث عرفت المنطقة نوعا من الهدوء، وظهر بعض التلاحم بين معتنقي هذا الدين، إلا ان هذا الوضع لم يدم طويلا.

وفي سنة 313م، حاول الإمبراطور قسطنطين،حل أزمة الإنشقاق بين الطرفين خلال مرسوم ميلانو،إلا أنه مال إلى طرف الكاثوليك، سعيا منه لإستغلال الجانب الديني لخدمة المصالح الرومانية، جراء ذلك تفاقمت الأزمة بين الطرفين.

حيث حدث الإنشقاق، داخل الكنيسة الإفريقية، بداية من القرن الرابع ميلادي، وذلك عند إنعقاد مجمع قرطاج 312م، الذي أعلن عدم شرعية إنتخاب كايكليانوس (Caecilianus)،خليفا لمونصوريوس بوكلسيانوس، فأصبحت الكنيسة الكاثوليكية تلقب من طرف الدوناتيين "بحزب كايكليانوس " وبعد وفات دوناتوس الأكبر، إستلم

مكانه بارمينيانوس (Parmenianus) الذي أصبح كبير الأساقفة الدوناتيين سنة 355م، حيث لم شمل الحركة الدوناتية.

وبعد ذلك أصدرت السلطة الرومانية مجموعة من العقوبات على الكنيسة المنشقة و الدوارين من خلال قانون " هونور يوس "، حيث تعرض كل من الأساقفة و رجال الدين للنفي و دفع الغرامات المالية، وأما العبيد والفلاحين فلقوا حتفهم من طرف الملاك والأسياد.

وفي سنة 305م ظهرت حركة إجتماعية عرفت باسم " حركة ثورة الريفيين "أو مايعرف بالدوارين لأنهم كانوا يتجولون حول الأضرحة حيث كانت نتيجة لظروف و عوامل دينية و إقتصادية و إجتماعية قاسية كان يعاني منها السكان البسطاء، حيث أن هذه الحركة كانت تسعى لمساعدتهم، وتهاجم الملاك الكبار الذين إضطهدوهم، و تسعى إلى العدالة الإجتماعية مثل تحرير العبيد ومقاومة الإقطاعيين، وقد ضمت هذه الحركة، جمهورا واسعا من الفلاحين و العمل الريفيين الأحرار في نوميديا، رفضين وضعهم المزري و الظلم الممارس في حقهم، وهي تعتبر إستمرارية لحركة المقاومة ضد الوجود الأجنبي، فقد كانت مبادئ الدوارين، مستمدة من المسيحية، بأصولها الأولى، وقد لقبهم الدوناتيين ب" الزعماء القديسين "،وهذا ما كان شائعا لدى الدوناتيين.

وقد إعتبروا شهدائهم قوة لهم،ولإعداء الكاثوليكية، وأصبح الإستشهاد مطلبهم ومبتغاهم، وقدسوا شهدائهم و رفاتهم و أضرحتهم.

وقد كانت حركة الدواريين ذات أهداف ومبادئ مستقلة،رغم تحالفها مع الكنيسة الدوناتية، خصوصا قبل سنة 374م، وحيث ظهر تنكر الدوناتيين للدوارين وأعمالهم في

بعض الأحيان، وخصوصا في مسألة التعميد حيث كانت صحة التعميد مرتبطة بقداسة المعَمد،فكان الكاثوليك يرون أن أوبطا الجيلدوني و الدوارين لا يملكون صفة القداسة بسبب إرتكابهم للجرائم.

إن أحداث باغاي سنة 347م، تعتبر منعرجا حاسما في تطور مجريات الأمور في المغرب القديم خلال تلك الفترة حيث شهدت تحالف بين الدوارين و الدوناتية، ضد السلطة الرومانية و الكنيسة الكاثوليكية وهذا بعد حادثة المفوضين الإمبراطوريين .

وبعدها ظهرت ثورات جديدة سنة 372م، والتي تمثلت في ثورة فيرموس و بعدها جليدون، والتي ساندها الدوارين و الدوناتيين، بهدف إنهاء الوجود الروماني في المنطقة، لكن رومانوس نجح في التفريق بين أبناء نوبل،وهذا يظهر من خلال حادثة مقتل " ساماك" على يد شقيقه من أجل تولى العرش.

إن الرومان طبقوا نظرية فرق تسد وجعلوا سكان المنطقة يدخلون في صراعات فيما بينهم، وهذا ما يخدم مخطط الرومان، ويعزز قوتهم وسيطرتهم على المغرب القديم.

وما نستنتجه هو أن سكان المغرب القديم قد رفضوا الوجود الأجنبي منذ الوهلة الأولى، وعبروا عن ذلك بشتى الوسائل دفاعا عن هويتهم و مبادئهم الرافضة للاستعمار والإستبداد ونصرة الحرية خلال فترة الوجود الأجنبي اذ أن شعوبها رفضت عبر الأزمنة والعصور أن تستعبد و تغتصب أرضهم وكانت الحرية مطلبهم المقدس.